

صلى الزمان

عبد الحفيظ العمري

نوع العمل: خواطر وذكريات

اسم العمل: صدى الزمان

اسم المؤلف: عبد الحفيظ العمري

لوحة الغلاف: (إصرار الذاكرة) للرسام الأسباني سلفادور دالي

الناشر: المؤلف نفسه

الطبعة: الأولى - أبريل ٢٠١٩م

صدى الزمان

(خواطر وذكريات)

عبد الحفيظ العمري

الفهرس

مقدمة

١. الصور الثلاث

٢. أبو بكر سالم بلفقيه.. صاحب الخمر الحلال!

٣. اليمني في أبهى صورة

٤. الكتابة في زمن صعب

٥. التشرد هو عنوانك

٦. أسبوع الراحلين

٧. عن شهر شباط

٨. عش للجمال

٩. دفعة ملوك القرن

١٠. السندباد البعيد

١١. عن الأحلام المتبقية

١٢. ماذا يعني أني مهندس؟

١٣. ذكرى قديمة

١٤. أيها المبتسم في وقار!

١٥. روح أمي اليمن

١٦. أصحاب إرادة

١٧. ذات مباراة

١٨. الكاتب الأسطورة

١٩. اليمنى ورحلة الشتات

٢٠. لم أعد ابالي!

٢١. أنا والعلوم

٢٢. اسمها حورية

٢٣. نوستالجيا المواسم

٢٤. رمضان الموسم

٢٥. صورة بالراديو!

٢٦. صديق على جناح طائرة!

٢٧. عن الحقيقة وأخواتها

٢٨. عن التفسير

٢٩. جَدِّ حياتك

٣٠. العليّة.. المدير الذي لن يتكرر

٣١. كتابات عن مطر (إب)

٣٢. نضب الكلام

٣٣. من يومياتي

٣٤. هذه الفاتنة وابنها البار

٣٥. هذا الصباح

السيرة الذاتية

المقدمة

الذكريات القديمة للمرء تمثل أهم بصمات الزمن

الخالدة التي تركها على جدار النسيان المتضخم بتقدم العمر، حتى يكاد يكون الإنسان مجرد حافظة لذكريات متراكمة، قد تطمسها رحي الزهايمر في لحظة ما.

وهنا جمعت عدد من تلك الذكريات التي رقمتها على حائط الفيس – صحيفتنا السيارة- في هذا الزمان!

وكون هذه التدوينات أو المنشورات مفرقة حسب تواريخ تدوينها هناك لذا أحببت أن أجمعها في مكان واحد، فكان هذا الكتاب.

وهذه هي ثاني تجربة لجمع بعضاً من تدويناتي في الفيس بعد كتيب (أضغاث فيسبوك) الذي نشرته في أكتوبر عام ٢٠١٦م.

خمسة وثلاثون نصًّا أو منشورًا – حسب أصلها- هي
حصيلة ما غربلته من منشورات عديدة على حائط الفيس
الذي يختلط فيه الغث بالسمين، ولا أدّعي أنها أجود ما
كتبت، لكن ما أستطيع أن أدّعيه أنها أقرب للنفس في كل ما
كتبت!

إنها (صدى الزمان) على النفس في كل حالاته وحالتها
المتقلبة.

عبدالحفيظ العمري

إب - اليمن

٣٠ أبريل ٢٠١٩م

الصور الثلاث

هناك ثلاث صور مرتبطة بذاكرتي كلها ميكانيكية!!

صورة إقلاع طائرة من مطار، ما أروعها من صورة
لدي!

ربما لتخصصي دور في الأمر؛ لأنني أرى في الطائرة
عظمة الهندسة الميكانيكية؛ حيث تلتقي مادة الميكانيك
الهندسي مع ميكانيك الموائع وميكانيك الهواء في عملية
حركة الطائرة، وكذلك مادة الإنتاج في صناعة مادة الطائرة!
(ما زلت أذكر اسم السبيكة المستخدمة في صناعة



الطائرة وهي الديور ألمين؛ وهي سبيكة مكونة من



الألومنيوم والماغنسيوم والمنجنيز والنحاس).

أما الصورة الثانية فمشابهة للسابقة، وهي صورة إطلاق مكوك إلى الفضاء الخارجي.

هنا عظمة الميكانيك مع سعة الخيال الإنساني، الخيال العلمي خصوصاً مع جول فيرن وويلز وغيرهم.



أما الصورة الثالثة فعجيبة؛ إنها عربة الكاتيوشا!

Katyusha rocket launcher



ربما أني متأثر بأغنية كاتيوشا المشهورة 😍

وهي أغنية روسية تحكي عن فتاة تنتظر حبيبها الذي
يخدم بلاده في الجيش.

أو من كثرة اطلاعي على كتب الحروب!

لكن منظر المنصة وهي تطلق نيرانها مذهل.

أخيرا الكاتيوشا كلمة روسية وهي اسم الدلع لكاترينا،
ولا أدري من يقصدون بكاترينا هل هي الملكة كاترينا
الثانية؟

تقول كلمات الأغنية:

كانت أشجار التفاح والخوخ مزهرة،

وفوق النهر يهبط ضباب الصباح،

صعدت (كاتيوشا) الصبية على حافة الجرف،

والنهر يغلفه الضباب،

على حافة النهر بدأت (كاتيوشا) تغني،

عن النسر الرمادي الشامخ في السهول،

وعن الذي تحبه (كاتيوشا) من كل قلبها،

وتصون رسائله إليها،

أيتها الأغنية،

الأغنية الساطعة عن الصبية العذراء،

طيري إلى حدود الشمس، طيري مثل طائر،

إلى الجندي البعيد عند الحدود،

من (كاتيوشا) أوصلي السلام،

لعله يفكر بالعذراء القروية،

لعله يسمع أغنية (كاتيوشا)،

وكما تحرس أرض الوطن العزيز،

سوف تحرس (كاتيوشا) حبها إلى الأبد.

كان لي حلم أن أصوغ هذه الأغنية على شكل أبيات

شعرية، ربما في المستقبل!

أبو بكر سالم بلفقيه.. صاحب الخمر الحلال!

صوته أيقونة العذوبة، أو كما يسميه صديقي عادل

مداحش الخمر الحلال!

أنا شخصيا أحب هذا الصوت وأطرب له كثيرا، ربما لذكريات كثيرة؛ فأنا سمعت هذا الصوت أيام صباي عندما كنت ساكنا في تعز في فترة الثمانينات مع أسرتي؛ كنا في حارة المنتزه جوار ستيريو ١٣ يونيو.

ما أزال أذكر يوم اشتريت (كاسيت) أغنيته الطويلة (أنا في كل المدن مريت)، وتلك الليالي الطويلة قرب المسجلة مع (رسولي قوم بلغ لي إشارة) و(وامغرد) وغيرها.

إنه الذكريات الحية والمشحونة عبر العمر، وليس ذاكرتي أنا لوحدي بل ذاكرة بلد بأكمله من (بندر عدن) حتى (أحبة ربي صنعاء)، إنه العسل (الدوعني) المار (بطريق البريقة) و(الخور) و(ساحل أبين) و(وادي الدور)، إنه (البن

اليافعي) الذي لم يُغش بالزعر، إنه بعلو (شمسان) (أحيلي
مَكَن).

أبوبكر سالم بلفقيه ابن (أمي اليمن) الذي لم يتنكر لها
وهو يعيد أنا من (الغنا) مدينة حضرموت

وهو رغم غربته التي (تعبت منها المطارات) لكنه لم
يترك (المكلا) وأثمر فيه كل معروف!

رفيق رحلته (المحضر) الذي شدا بكلماته ذلك
(السهران) الذي لم يهدأ ولم ينم، بل ظل طوال الوقت مع
لحن (الدان) الذي لا يحلو السمر إلا بصوته، والسما لم
ينفضوا من سامره بعد ليلة (الحد) التي مرت بذكر الخواطر!

هل تذكر صحابه في (سيئون)؟

أم تذكر رسوله الذي أرسله ليبلغ أشارته إلى الحالي
الزین؟

لكن أفسدت بيننا الأمانات عيناها، وخانت قلوبهن
العقول- كما يقول المتنبى العظيم

فعاد أبوبكر يقول لهم: (هذا الذي يا صحابي ذي ما
عملنا حسابه)!

ماذا أقول عنك يا أبا أصيل إلا ما قلت عن نفسك، (أصيل
والله اصيل) هو ذا فنك دوما.

إن أغنية (أمي اليمن) ليست مجرد أغنية، بل شجن أمة
كاملة مكبوس في ٧ دقائق!

ألم يقل الشاعر الراحل عبد الرحمن الابنودي عن أبي
أصيل: "أبو بكر سالم بيعبر عن حضارة كاملة"؟

إن أبا بكر سالم صاحب السبع حناجر كما تقول الفنانة
العراقية الراحلة رباب، قد شدا بكل ألوان الفن اليمني من
حضرمي ولحجي وصنعاني، أضف إلى ذلك الخليجي، لكنه
في كل لحن الفنان الأصيل، تحس هذا لما تسمع مقلدي
أغانيه من الفنانين العرب أو اليمنيين، وكأنه يقول:

لا تبدل بديل الأصل تقليد!

أبو بكر سالم ظل في محراب الفن ما يقارب من ٦٠ سنة
من التميز في الصوت والحن والكلمات، وهذه الأخيرة

الكلمات تستحق الوقوف عندها، فأبو بكر سالم شاعر مطبوع، وله ديوان شعري يتيم اسمه (شاعر قبل الطرب) جمع فيه كلمات أغانيه التي كتبها سواء شدا بها هو أو غيره من الفنانين.

يكفي أن نعرف أن أول أغنية كتبها لنفسه هي (يا ورد ما أحلى جمالك) وعمره آنذاك ١٧ سنة!

كان أبو بكر سالم يمثل مع الشاعر الغنائي الراحل حسين أبو بكر المحضار ثنائيا رائعا، غنى أبو بكر سالم العديد من كلمات المحضار في بداياته – خصوصا أغانيه الخالدة، ومع ذلك فقد كتب أبو بكر سالم أغانٍ خاصة به لا تقل روعة عن كلمات المحضار، ومن ينسى أغنيه (إمتى أنا أشوفك).

لقد حاز الفنان الكبير أبو بكر سالم بلفقيه أسمى آيات التكريم والحفاوة خلال رحلته الفنية الطويلة، ولعل أهم جوائزه هي جائزة منظمة (اليونسكو) كثنائي أحسن صوت في العالم من حيث طبقات الصوت في أغنيه (أقول له إيه) عام ١٩٧٨ م.

وكذلك غناؤه في قاعه ألبرت هول في لندن أكبر مسارح
العالم الفنية، وهو شرف يجعل كل فنان يغني هناك يحصل
على لقب فنان عالمي.

ناهيك عن العديد من الأوسمة والجوائز الأخرى.

لكن القيمة الحقيقية للتكريم هي بقاء فنه في الذاكرة
العربية خلال الأجيال المتعاقبة، وهذا هو الخلود لكل عبقرية
مبدعة في أي جانب من جوانب الحياة.

اليمني في أبهى صورة

مجلس (قات) متواضع جمعي مع مجموعة من

المواطنين البسطاء الذين يعملون بأيديهم.

إنهم مجموعة ممن نسميهم (الشُّقاة)، وهو لفظ جاء من الشقاء أي العمل.

فهم إما نجّار أو (مليّس) أو (بنّاء) ... إلخ.

بسطاء للغاية.

اليوم الجمعة هو يوم الإجازة الأسبوعية لهم، يعودون فيه إلى قريتهم بعد أسبوع عمل في مدينة (إب).

قريتهم واحدة من قرى اليمن المنسية على الخارطة!

هوؤلاء الناس كنت بينهم اليوم، داخلني إحساس أني

واحد منهم - رغم أني لا أتقن بيدي مهنة إلا الكتابة!

فأنا مواطن يحب البساطة ويكره الرسميات، وهذا ما كان لدى هؤلاء الشُّقاة.

الحقيقة أني وجدتُ اليمن مجسدة فيهم، حتى أكاد أقول هذا هو اليمني الأصل الذي حدثتنا كتب التاريخ عنه أنه من صنع كل تلك الآثار التي نراها أو قرأنا عنها في كتب التاريخ.

كل واحد منهم جاء إلى المجلس بزيه اليمني البسيط (الثوب والجنبيه)، ذلك الزي الذي يلائم كل المناسبات الاجتماعية لدينا - على تنوعها.

تنوعت أحاديثهم عن الحياة والواقع وأوضاعه، ومع ذلك لم ينجروا إلى أي (هراء) سياسي مما نعرفه في المجالس؛ إنهم يتحدثون عن همومهم اليومية التي يصنعها ويعقدها سياسيون مغامرون!

كانت ابتساماتهم صادقة لا مجاملة ولا تزلف فيها وهم يسمعون أي نكتة يلقيها أحدهم.

الأجواء في الخارج كانت باردة، لكن المشاعر دافئة
والناس يسأل بعضهن بعضا عن أعمالهم وماذا انجزوا وماذا
أجّلوا!

ليت كتاب القصة لدينا يلتقطون صور الحياة لدينا في
الريف اليمني الجميل وينقلونها مجسدة على الأوراق
ليعرّفوا العالم من حولنا بهؤلاء المجهولين، حتى يرى العالم
اليمني في أصدق صورة، وليس تلك الصور الكالحة التي
تظهر في كل قناة إخبارية!

الكتابة في زمن صعب

تنظر في هذا البياض الذي يبدو أمامك على شاشة الورد

أو الفيس بوك فتتحرك نوازحك، تريد أن تكتب شيئاً؛
فالصفحات البيضاء مغرية للكتابة، لكنك تتردد؛ فتكتب ثم

تمسح، ثم تعاود الكتابة والمسح!

لا تدري ماذا تريد أن تكتب!

ليس عن قلة أفكار؛ بل هناك زخم مضطرب من الأفكار
التي يجيش بها خاطرك، لكن نفسك مضطربة كأمواج عاتية
في محيط أثناء عاصفة مدارية.

فتسأل: ماذا تكتب؟ ولم تكتب أصلاً؟

هل تكتب لمجرد (تنفيس) الاضطراب المشوش الذي
تعيشه، أو بالأصح دُفعت لكي تعيشه؟

وإذا كان كذلك، فهل تستطيع أن تكتب كل شيء؟

طبعاً، لا.

(في القلب غير البغض غير الهوى

فكيف أحكي يا ضجيج الدروب؟)

يكاد البيت الشعري هذا لمولانا البردوني يختصر الكلام كله؛ إنه ضجيج الدروب التي نعيشها، ضجيج أشد وضوءاً من الانفجار العظيم قبل ١٣,٧ مليار سنة.

يضحك آخرك الشخصي ويقول: ما تزال روحك العلمية مفعمة بالصحة.

يأتي طيف البردوني ليرد:

(ريان، إلا من قميص ولاده... عان، وقلب الشعر فيه معافى)

باستبدال (روح) مكان (قلب) و(العلم) مكان (الشعر)!

كم هو صادق هذا البردوني وهو يعبر عن كل حالة لليمني الأخير.

يقول آخرك الشخصي: ماذا بعد؟

حقيقة لا أدري ما بعد!

فأنا قد (تبعددت) كثيرا بهذه (الما بعد)، لكني لم أدر
وراءها!

ليس لي إلا السؤال الذي يرافقني حتى المشيب، وحينئذ
سيكون التساؤل موجهًا لك كما يقول مولانا البردوني:

أما زلت؟ شابت عيالُ العيالِ
وأنت تلاحق وعدِ المطالِ
فلا أمكن الممكن المشتهى
إليك ولا المستحيلُ استحالُ
تبيتُ على باب سينٍ وراءِ
وتغدو على باب واوٍ ودالٍ

التشرد هو عنوانك

التشرد هو عنوانك، وأنت تائه في محلات النت من أجل

أن ترقم حروفا ضائعات المدى يقرأها الآخرون قد يرضون عنها وقد لا يرضون، وهذا لا يهمك لأن لديك رسالة تريد أن توصلها.

حروفك هي آخر ما يربطك بهذا العالم بعد أن أغلق كل نوافذه أمامك.

حر أنفاسك يتردد بين سطور حروفك الضائعات، وأنت تستقطع من قوت العيال ما يسد حساب النت لكي تبخر في هذا الفضاء السايبري.

كل هذا التعب من أجل ماذا؟

هل من أجل حروف ضائعات المدى؟

أم من أجل (لايكات) لا تصدق كثرتها لأنها مجرد
(بايتات) ضائعات المدى أيضا؟!
وتلك البعيدة التي قد تقرأ وقد لا تكاد تمر على صفحتك،
وأنت تقف واجما تنتظر حضورها الإلكتروني الافتراضي في
وله لا يناسب سنوات عمرك الأربعيني وكأنك شاب متصابي.
لالا... ليست مراهقة متأخرة؛ فأنت قد استفذت مراهقتك حتى
آخر لحظة فيها، رغم أنك لم تخرج منها إلا بقلب مكسور،
لكنك متجلد كابي ذؤيب الهذلي.

إنه الوله والتلهي بالتكنولوجيا الحديثة حيث تكون هناك.
رسالتك لم تبين ملامحها، لكنها مزيج من الثقافة والإنسانية
والكينونة في لا زمان ولا مكان من هذه الجغرافية المنسية،
لأنك - كما قال مولاك البردوني ذات يوم: -

مواطن بلا وطن لأنه من اليمن (🇲🇪)

أسبوع الراحلين

الأسبوع الأول من شهر أبريل ٢٠١٨م؛ أي أسبوع

كان؟

كان أسبوعاً مثخناً بالأحزان على الراحلين إلى ربنا
سبحانه.

واحداً إثر واحد.

كلهم تركوا كراسيهم وغادروا قاعة الحياة الدينا إلى
الغيب!

ونحن سنفعل ذلك في زمان قادم.

متى؟

لا ندري.

ولو تفكرنا في الأمر لوجدنا الموضوع كأنه دورة فيلم
تسجيلي فيه الصور تنتقل من حين لآخر، وفي الآخر ينتهي
الفيلم وتبقى ذكريات تلك الصور.

مجرد ذكريات لا أقل ولا أكثر.

قد تكون بعض الصور باهتة وأخرى تكون محفورة في
الذاكرة؛ والأمر يعتمد على الأثر الذي تركته تلك (الصور)
في ذاكرة المشاهد، وكلنا في هذه (القاعة) مجرد متفرجين
حيناً من الدهر حتى يصدر الأمر الإلهي لنا بالمغادرة!
فأي ذكريات ستبقى عنا؟

من الذين رحلوا خلال هذا الأسبوع الحزين الكاتب
المشهور د. أحمد خالد توفيق؛ الذي ترك رحيلاً حزيناً في
نفوس كثير من قرائه— وأنا واحد منهم!
"لقد جعل الشباب يقرأون" هذه كانت رسالته والتي
تمنى أن تكتب على قبره، وقد نفذ محبوه وصيته تماماً.
لم أكن أتصور أن أحزن لرحيله وأنا الذي دخلت عالمه
في وقت متأخر، الذي أخذ بيدي إلى هذا العالم الرائع هو
صديقي د. فهد آل قاسم.

عالم مليء بالحكي الساخر والجميل؛ رفعت إسماعيل وعبير عبد الرحمن وعلاء عبد العظيم أشهر شخصيات سلسله التي كانت تصدرها المؤسسة العربية الحديثة. أنا شخصيا أعجبتني سلسلة فانتازيا ببطلتها العادية عبير عبد الرحمن وهي تمتطي التاريخ جيئة وذهابا عبر عصوره المختلفة، وقد كتبت عن هذه السلسلة مقالا بعنوان (فانتازيا... التاريخ بوجه آخر!).

كل أبطاله عاديون لا يجيدون عدة لغات ولا مؤهلات عليا ولا حاجة، بل واحد من الناس، كأنهم أنا أو أنت أو أي فرد من مجتمعنا، وهنا تكمن عبقرية د. أحمد خالد توفيق أنه جعلك تحس أنك يمكن أن تكون محور المغامرة، ويمكن أن تشاهد هؤلاء (الأبطال) في أي مكان من حارتك العتيقة وليس في استوديوهات هوليوود أو بليود!

لم يكن د. أحمد خالد توفيق مجرد كاتب سلاسل قصصية لمرحلة عمرية معينة نعبرها وخلص، بل لديه روايات كبيرة أشهرها رواية (يوتوبيا) التي ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية، (ومثل إيكاروس) التي فازت بجائزة معرض

الشارقة للكتاب العام الماضي ٢٠١٧م، وغيرها من الروايات.

أما الجانب الأجل لدى د. أحمد خالد توفيق فهو مقالاته في الصحف والمواقع الإلكترونية (التحرير- إضاءات- اليوم الجديد- بص وطل- الساخر).

هذه المقالات التي كنت أبحث عنها أسبوعيا لأجس نبض الحياة عبر قلم د. أحمد خالد توفيق الساخر والساحر معا، وقد جمع أغلبها في كتب له من أمثال (قهوة باليورانيوم- شاي بالنعناع – دماغي كده) وغيرها.

رحم الله د. أحمد خالد توفيق وجزاه خيرا عنا لأنه علمنا أن نقرأ بعقل مفتوح.

ورحم الله كل الراحين في هذا الأسبوع الحزين.

عن شهر شباط

إنه شباط.

لقد باتت الريح تلوك النافذة يا مولانا عبد الله البردوني!
كما عبّرت في بيتك الشعري:

باتت الريحُ تلوكُ النافذة ...بعضُها من جلدِ بعضِ لائذة

تكاد ريح شباط تشبه رياح السياسة وعواصفها التي
تفلذ هذا البلد دون وجهة ومرأى، تحقيقاً لقول مولانا
البردوني – بعد ذلك:

ليس تدري ما الذي يأخذها ...لا ترى من أي شيء آخذة

تفلذ الأغصان تجري فلذاً ...لا تعي مفلوذة، أم فالذة

ترتمي مما بها موقوذة ...والى المجهول تسري واقذة

طبعا (موقوذة) مأخوذ من الفعل وَقَذَ الذي يعني ضرب؛
يقال وَقَذَ فلاناً: أي ضربه حتى استرخى وأشرفَ على
الموت!

والمجهول ليس غريبا على هذه الجغرافية، فهو يلف كل
شيء هنا كالظلام تماما!

لقد قال الساخر الكاتب الساخر جلال عامر:
"«المجهول» يلعب دوراً مهماً في حياتنا؛

فعندنا الحبيب المجهول

والجندي المجهول

ونداء المجهول

والمبنى للمجهول

و ضد مجهول!"

حتى كتاب الرحلات الذي كُتب عن اليمن في العصر
الحديث اسمه "اليمن ذلك المجهول" للراحل أنيس منصور!
نحن ليس لدينا مفكر مثل د. جمال حمدان ليدوّن
"شخصية اليمن" مستعرضا التاريخ والجغرافيا معا!

هذا التدوين الغائب هو الذي أفقدنا معرفة ذاتنا؛ فصرنا
شعباً بلا ذاكرة!

لذا لا نستغرب من الرياح التي تجتاحنا من كل الجهات
في كل حقبة تاريخية، ولا أظن أن عاصفة الحزم ستكون
آخر هذه الرياح!

اعتراف:

لا أحب شهر شباط بسبب الرياح الهوجاء التي تأتي بعد
شتاء قارس!

عشّ للجمال

الجمال ذلك المعبود للعيون في كل عصر؛ إذ لا يوجد

شعب لم يمجّد الجمال طيلة التاريخ.

الخلاف كان فقط حول مواصفات الجمال!

ويكاد يكون الجمال لغة عالمية لا تحتاج إلى تعليم.

يقولون: لا تحتاج إلى تعلم الفرنسية لتعرف جمال المرأة

الفرنسية!

(الحمد لله، فأنا لا أفقه في اللغة الفرنسية شيئاً!!)

للدكتور مصطفى محمود مقال عنوانه (الوقوع في الفخ)

يناقش موضوع الجمال ويخلص إلى أن "الجمال الحقيقي

هو جمال الشخصية وحلاوة السجايا وطهارة الروح"، ثم

يضيف قائلاً:

"النفس الفياضة بالرحمة والمودة والحنان والأمومة، هي النفس الجميلة".

وكانه جمال أفلاطوني لا يعير قيمة للمظاهر الخارجية التي قد تكون جميلة، تلك المظاهر التي تفنن الشعراء في التغزل بها، وهناك من نفذ إلى هذه المعاني العميقة ألم يقل أحمد شوقي:

فيا رَبَّ وجهٍ كصافي النмир... تشابه حامله والنمر!

وقد سبقه إلى نفس المعنى المتنبي العظيم بقوله:

مِمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ

هَوَوْا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا

تَفَنَّى عَيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ

فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنٌ

بل إن الغواني - كما قال في موضع آخر: ضياءً في

بواطنه ظلام!

وهذا الحُسن الظاهري زائل، لذا يقول المتنبي ناصحاً:

زودينا من حسن وجهك ما دا ... مَ فحسنُ الوجوهِ حالُ تحولُ

مثلما قال عنتره:

عُبيلةُ ! أيامُ الجمالِ قليلةٌ ... لها دولةٌ معلومةٌ ثمَّ تذهبُ

ويتعجب المتنبى من شغف العشاق بحسن الوجوه،

فيقول:

لو فكَرَ العاشقُ في منتهى ... حسنِ الذي يسببه لم يسبّه

لأن الجمال ليس في وجه الفتى إذا لم تكن أفعاله

وخلائقه جميلة؛ فيقول:

وما الحسنُ في وجهِ الفتى شرفاً له

إذا لم يكن في فعله والخلائق

كما قال الشاعر اليمني عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمَنْزَرٍ ... فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ ... وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ مَجْدَا

ومع كل ذلك يظل الجمال الظاهري آخذاً للعيون من أول وهلة لا يغفل عنه أحد مهما ادعى غير ذلك.

والنفس بطبعها تميل إلى الجمال - بكل أنواعه- وتأنس به، ملتفتةً إلى مواطنه؛ جمال الوجه، جمال الهيئة، جمال الصوت، جمال العبقرية... الخ.

إن التناسق هو السر بعينه؛ فجمال الوجه تناسق ملامحه، وجمال اللحن تناسق نغماته دون نشاز، وجمال الفكر تناسق طرحه وحججه، وهكذا.

لكن من يلتفت لذلك؟

إنها النفس التي تحب الحياة، وقد أحسن الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي في قصيدته المشهورة (فلسفة الحياة) لما قال:

والذي نفسه بغير جمال... لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً
وما إحساسنا بالجمال إلا انعكاس لحبنا للحياة التي
نحبها إذا ما استطعنا إليها سبيلاً، كما يقول محمود درويش.

ليختم الشاعر أبو ماضي قصيدته السالفة الذكر بقوله:
 أيُّ هذا الشَّاكِي وما بك داءٌ... كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً
 لكن شاعر الحياة أبو القاسم الشابي يفر إلى الغاب
 فيقول:

روحُ أنا، مَسْحُورَةٌ، في عَالَمٍ
 فوق الزمان الزَّاحِر الدَّوَامِ
 في الغابِ، في الغابِ الحبيبِ، وإنَّه
 حَرَمُ الطَّبِيعَةِ والجمالِ السَّامِي
 طَهَّرْتُ فينارِ الجمالِ مشاعِرِي
 ولقيتُ في دنيا الخيالِ سَلامِي
 ونسيتُ دنيا النَّاسِ، فهي سَخافَةٌ
 سَكَّرَى من الأوهامِ والآثامِ
 وَقَبَسْتُ من عَطْفِ الوجودِ وَحُبِّهِ
 وجمالِهِ قَبْساً، أضاءَ ظلامي

فرأيت ألوان الحياةِ نضيرةً
 كنضارةِ الزَّهرِ الجميلِ النَّامي
 ووجدتُ سحرَ الكونِ أسمى عنصراً
 وأجلَّ من حزني ومن آلامي
 فأهْبْتُ - مسحورَ المشاعرِ، حالماً
 نشوانَ - بالقلبِ الكئيبِ الدَّامي:
 "المعبدُ الحيُّ المقدَّسُ هاهنا
 يا كاهنَ الأحزانِ والآلامِ
 "فاخلعْ مُسُوخَ الحزنِ تحتِ ظلالِهِ
 والبسْ رِدَاءَ الشَّعرِ والأحلامِ"
 "وارفعْ صلاتَكَ للجمالِ، عميقةً
 مشبوبةً بحرارةِ الإلهامِ
 واصدحْ بألحانِ الحياةِ، جميلةً
 كجمالِ هذا العالمِ البسَّامِ"

اليوم كم نحتاج أن نشعر بالجمال قليلا حتى لا تذوي
نفوسنا في زمن القباحات الذي نعيشه.

ملاحظة:

بعد نشر هذا المقال وجدت قصيدة للشاعر المهجري
إيليا أبو ماضي اسمها (عش للجمال)!

يقول فيها:

عش للجمالِ تراه العينُ مؤتلقا
في أنجم الليلِ أو زهرِ البساتينِ
وفي الرّبيّ نصبتُ كفَّ الأصيلِ بها
سرادقا من نضارِ للرياحينِ
وفي الجبالِ إذا طاف المساءُ بها
ولفّها بسرابيلِ الرّهابينِ
وفي السواقِ لها كالطفلٍ ثرثرةٌ

وفي البروق لها ضحك المجانين
 وفي ابتسامات (أيار) وروعها
 فإن تولّى، ففي أجفان (تشرين)
 لا حين للحسن، لا حدّ يُقاسُ به
 وإنما نحن أهل الحدّ والحين
 فكم تماوج في سربال غانية
 وكم تألّق في أسمال مسكين
 وكم أحسّ به أعمى فجّنّ له... وحوله ألف راءٍ غير مفتون
 عِشّ للجمال تراه ههنا وهنا... وعِشّ له سرٌّ جدّ مكنون
 خيرٌ وأفضلُ ممن لا حنينَ لهم
 إلى الجمال، تماثيلٌ من الطين!

دفعة ملوك القرن



صورة قديمة منذ قرابة عقدين من الزمن (عام

٢٠٠٠م)

صورة التخرج.

واحدة من محطات الحياة التي لا تنسى؛ لحظة تخرجك
من الجامعة الصغرى لتدخل الجامعة الكبرى، لذا لا غرابة أن

تكون لفظة الجامعة بالإنجليزية university، لها شبه من لفظة الكون universe، وكأن الجامعة كون مصغر!

هذا أنا مع أصدقائي خريجي قسم الهندسة الميكانيكية
جامعة الأنبار- العراق- لعام ١٩٩٩-٢٠٠٠م

أول واحد في الصف الثاني من جهة اليمين، هل ترونه؟
ذلك الشاب الصغير الرأس، إنه المواطن من هذا البلد
المسمى اليمن، ومن حولي أصدقائي من العراقيين وأحدهم
فلسطيني!

(آخر واقف من جهة اليسار في أعلى صف؛ إنه إسحاق
يوسف الذي يذكرني بالمعلم نونو في رائعة نجيب محفوظ
(خان الخليلي) وهو يقول: ملعون أبو الدنيا، لكن إسحاق
كان يقولها بطريقة أخرى - بلهجته الفلسطينية: دنيا خراء!)
(أكرمكم الله)

من تبقى منا؟

ثلاث دول: فلسطين - العراق - اليمن؛ دول حضارات
(سابقا)، ونكبات (لاحقا)، وقد رتبتهـا على حسب الترتيب
الزمني للكوارث: ١٩٤٨ - ٢٠٠٣ - ٢٠١٥ م

لكن...

هناك دولة موجودة في نفوسنا لم تمسها النكبات، إنها
دولة الأمل الذي لم يخن فؤادي يوما من الأيام؛ الأمل باقٍ ما
بقيت الحياة.

هل أثارت شجوني هذه الصورة؟

نعم، ذاك زمان قديم، ربما أفصل الحديث عنه في قابل
الأيام.

زمان الجامعة في مدينة الرمادي - محافظة الأنبار -
العراق!!

#تلك_أيام_مضت

السندباد البعيد

صديقي السندباد:

إيه يا صديقي، أنت مبحر في عالمك الخاص، ونحن في
عالمنا المتلاطم الأمواج الذي نصارع فيه أشباحا لنتزع
اعترافا بسيطا بالحياة!

يا صديقي عِشْ حياتك، الناس هنا استمروا الظلمات،
فاذهب إلى الضوء لوحدك!

صديقي السندباد البعيد:

كم الحوار معك جميل أيها الغالي وأنت تحدثني عن
أسفارك التي لا تنتهي، فأحس أنني أسافر معك إلى تلك
الأراضي البعيدة.

تمنحني أحاديث الممتعة أو الماتعة - حسب ما تقول
العربية - روحا جديدة متوثبة، روحا أقابل بها الانكسارات
التي تمر بها هذه الجغرافية المنسية التي أعيش عليها!
وكأنك تنفخ في هذه الروح المفعمة بالحياة.

هل السفر حياة؟

أنا شخص لا أحب الأسفار رغم أنني أتقل في (أسفار)
السابقين كثيرا، وشتان بين سَفَر وسِفر!

فالسفر ما يزال عندي قطعة من جهنم، ربما لكوني كائن
كسول مثل كوالا أسترالي أو باندا صيني (:

المهم؛ أحاديثك المتقطعة بين الحين والآخر لها عبقها
وأنت تجوب بحار الدنيا من شرقها إلى غربها.

وأسألك يا (ذا القرنين) الحديث، أما أتعبتك الأسفار أم
أنك بصُرتَ بالرَّاحةِ الكبرى فلم ترها تُنالُ إلا على جسرٍ من
التَّعبِ؟!!

وأنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصبِ؟

صديقي السندباد، ما تزال بغدادك تنتظر قدومك على
ظهر سفينة ذات يوم، وأنا ما أزال منتظرا أن نعيد جلسات
المقيل تلك التي نتحدث فيها عن الدنيا والآخرة بكل التفاصيل
المملة والمضحكة والمبكية معا.

ربما هذه هي الحسنة اليتيمة (القات)؛ أنه يجعل
المتحدثين أكثر أريحية ويدلون بكل تفاصيل أيامهم المنسية!
كان والدي - رحمه الله - يحدثني في مجلس القات
أحاديثا لا تنتهي عن الأيام الخوالي وذكرياته التي تمتد من
خمسنيات القرن العشرين وحتى قبيل رحيله في عام
٢٠٠٨م.

مجالسة كبار السن متعتي وأنا أستمع لأحاديثهم عن
أيامهم التي أؤمن أننا لن نعش مثلها وقد ظللتنا أيامنا
النحسات هذه.

صديقي:

سلام عليك أينما كنت على أي خط طول! ***

عن الأحلام المتبقية

تجول في تخوم النفس التي لم تعد تسمع خبرا غير أخبار

الحروب وويلاتها، عبر ظلمة ليل المدينة التي تنام منذ
الظهر عندما يعود أهلها ليتكلموا في مجالس النسيمة
المفرطة وهم يمشغون (القات) في نشوة!

وأنت في ليالي هذا البلد القابع خارج خرائط الحياة
الحديثة، يسألك آخرك الشخصي: - هل تبقى حيزاً للأحلام؟

تريد أن تجيب، لكن تخاف الإجابة؛ لأن كل متغيرات
الزمان تجيبك نافية!

وأنت تكاد تؤكد هذه الإجابة، لكن تتريث قليلا من باب ألا
تسرب طاقتك السلبية للآخرين دون أن تدري أن الطاقة
نفسها في كل مكان!

أليس الكون مجرد لعبة طاقة عظمى؟!

ولو فرضنا وجود هذا الحيز، فإن آخرك الشخصي
سيسألك: - هل ما زلت تحلم؟

تجيب: - لا، لأنني قد استيقظت منذ زمن!

استيقظتُ على هذا الواقع (الواقع) على رؤوسنا، فلو
أني سُئلت: ما هو الواقع؟

لأجبت: هو ذاك الشيء الرهيب الذي يجب أن نقبل به،
بل ونعيشه!

نقبل به على طريقة "يتجرعه ولا يكاد يسيغه"!

أما نعيشه، سيكون كالرضى بالشيب قسرا وقد وَخَطَ
النواصي والفروعا!

فيضيق بنا أو نضيق به، لا فرق، لذا لم يبقَ أمامنا سوى
الواقع الافتراضي لنسكب أحلامنا/ أوهامنا فيه، وقد تغول
فينا هذا الأخير حتى أنني أخاف أن نغرق فيه فننسى الواقع
المعاش!

ونحن، بصراحة، نريد أن ننسى أو نتناسى – إن صح التعبير- هذا الواقع المعاش، لذا فالواقع الافتراضي يعد إحدى أنواع الغيبوبة التي نفر إليها للهروب من ضغط الواقع!

لكن هل الهروب هذا حل؟

لا أظن؛ فمهما كان هذا الواقع الافتراضي جميلاً، فإنه لا وجود له إلا على (سطح المكتب)، تماماً مثل الحلم لا وجود له إلا في مخيلتنا!

صحيح أن هناك حالات إدمان لهذا الواقع الافتراضي، لكن هذا الإدمان لن يغيّر من الواقع المُعاش كثيراً،

فمن يتخذ الفيس – على سبيل المثال- ملجأ أو مهرباً من واقعه، فهو كمن يتلهى بالغيبوبة لكي لا يفيق!

ولا ننسى أن من صنع هذا الواقع الافتراضي لم يأت به من فراغ، بل هو صدى الواقع المُعاش.

فهل يمكننا فصل واقع الفيس الافتراضي عن الواقع المُعاش؟

نعم ربما، لكن بشكل ضئيل جداً، تماماً كما تفصل أحلام اليقظة صاحبها عن واقعها؛ وما أحلام اليقظة إلا تفكير في الواقع المُعاش عن طريق التمني والتخيل، وهذا التفكير يدور في واقع موازٍ لهذا الواقع المُعاش، لكن في مخيلة الشخص المفكر، لكنها أوقات مهما طالت ونعود لواقعنا الواقع على رؤوسنا!

ونجد في واقع الفيس الافتراضي يوجد الواقع المُعاش (مضخماً) على الحائط؛ فهناك أخبار السياسة والفن والأدب والرياضة والعلوم... الخ، مع التحليلات والتعليقات والجدال واللجاجة في الجدل، والسب والشتم – إن تطوّر الأمر.

أليس هذا هو الواقع المُعاش؟

ونحن لو افترضنا أننا تركنا مواضيع الواقع الحقيقي وراء ظهورنا، فماذا ظل لنا لنتحدث عنه هناك؟

أحلامنا؟

صارت كوابيسا والحمد لله!

المستقبل؟

أيا منهم؛ مستقبل الماضي القادم بقضه وقضيضه أم
المستقبل الافتراضي؟!

الجغرافية؟

أيا منها؛ الباقية أم المنهوبة؟

المشتعلة أم التي تتجهز للاشتعال القادم؟

إذن نتحدث عن التاريخ؟

أي تاريخ نقصد؛ هل هو التاريخ الذي زُور في الماضي
تحت سمع وبصر الحاكم بأمره؟

أم التاريخ المعاصر الذي يزور تحت سمعنا وبصرنا؟

لقد أصبحت شعوب المنطقة القاطنة في هذه الجغرافية
المنسية تعيش بفعل قصورها الذاتي ليس إلا، تماما كتدحرج
برميل وضع على حافة منحدر!

وهكذا نحن نتدحرج في فسحة العمر، لكن إلى أين؟

الله أعلم.***

ماذا يعني أني مهندس؟

أنا مهندس

فماذا يعني ذلك؟

طبعاً أتحدث عن الهندسة عامة وليس عن تخصص معين في الهندسة.

المهندس – المفترض – أنه إنسان مفكر بعقل مفتوح، أو كما نقول يفكر خارج الصندوق، وليس مجرد تفكير تقليدي.

لماذا؟

لأنه يدرس مادة الرياضيات بعمق – أتكلم عما كنا ندرسه لا أدري الآن كيف أصبحت الدراسة!

فقد درستُ الرياضيات ثلاث سنوات من أصل أربع سنوات هي سنوات دراسة الهندسة.

هذا الاقتران بالرياضيات – وخصوصا المنطق- تجعل
من التفكير واسعا.

كما أن الهندسة تعلم التفكير وليس الحفظ.

الهندسة هي مجال التطبيق للجهد النظري لدى مواد
أخرى، لعل الفيزياء واحدة منها؛ فلو لا الهندسة لظلت
نظريات الفيزياء ضمن الأوراق البحثية؛ فما أجهزة الفيزياء
الحديثة إلا نتاج الهندسة.

مجال الابتكار في الهندسة واسع لأن التفكير الحر يولد
الابتكار، وأخص الهندسة المعمارية بذلك.

حتى يمكننا أن نحرف مقولة ديكارت الشهيرة إلى:

"أنت تفكر، إذن أنت مهندس!"

ليست الهندسة مجرد حمل اللقب فلا بد أن تكون
(تروس) مخك شغالة وتربط بين الأفكار المتباعدة في
محاولة لابتكار شيء جديد.

جاء في تعريف الهندسة استناداً لمجلس المهندسين الأمريكيين للتطوير الاحترافي:

"هي عملية التطبيق المبتكر والمبدع للمبادئ العلمية من أجل تصميم وتطوير البنى، الآلات، الأدوات، أو عمليات التصنيع، أو الأعمال المختلفة عبر استخدام أحدها أو عبر دمجها مع بعض، أو من أجل بناء وتشغيل نفس التطبيقات الموجودة عبر استخدام المعرفة الكاملة لتصميمها، أو من أجل بناء توقعات حول سلوك الأجهزة والعمليات المختلفة تحت ظروف تشغيل معينة، مع الأخذ بعين الاعتبار إجراء كافة العمليات السابقة بناءً على هدفٍ مقصود، من تحقيق اقتصادية التشغيل أو سلامة الحياة والممتلكات".

يحتاج المهندس للرياضيات كأساس ليعبر عن أفكاره بطريقة علمية، كما يحتاج الفلسفة ليفهم كيفية تطور العلم. ويكفي أن نعرف أن الفيلسوف الشهير أفلاطون قد أنشأ مدرسته في حديقة تدعى "أكاديموس"، فعرفت مدرسة

أفلاطون باسم الأكاديمية، وأمر أن يُنقش على مدخل
أكاديميته العبارة التالية:

"لا يدخل هذا المكان من لا يتقن الهندسة".

وكان يعتبر أن الوصول للحق والفضيلة له أربعة
شروط:

- ١ - الإلمام بالديالكتيك - يعني المحاجة المنطقية.
- ٢ - الإلمام بالرياضيات، يعني الهندسة وأيضاً الحساب.
- ٣ - الإلمام بعلم النجوم... أو بالأحرى: التنجيم.
- ٤ - الانسجام الداخلي، ونحصل عليه عن طريق
الموسيقى.

أخيراً:

كلمة مهندس هي ترجمة لكلمة Engineer المأخوذة
من Engine التي تعني محرك.

فكن ذا عقل متحرك وليس جامدا!

#المجد_للهندسة

ذكرى قديمة

ذكرى قديمة طافت بذهني عن عزيز كان عندي ملء

السمع والبصر!

لم يكن شخصا عاديا بالمرّة، بل كان كائنا مفعما بحب
الحياة؛

ابتسامته حياة،

مزحه حياة،

وحتى حزنه حياة!

ما أتفه الدنيا التي لا تتفك ترمينا في حبال غرائبها،
عنها يرحل الطيبون، ويتشبث بها الأشرار!

وكان الموت (جواهرجي) لا يختار لنفسه إلا النادر
والثمين من الدرر!

ألم يقل الشاعر ابن النبيه:

والموتُ نقادٌ على كفه... جواهرٌ يختارُ منها الجيادُ؟
تذكرت ذلك العزيز اليوم، ولا أدري ما الذي جلب طيفه
إلى ذهني؟

الحقيقة إنه لم يغب عن جفونه شخصه ساعةً ولا غاب
حسي - كما يقول أحمد شوقي.

لم أنساه يوما من الدهر، وكيف لي أن أنساه وهو يحتل
مني الحياة كلها؟!!

منه تعلمتُ حب الحياة؛ تلك الحياة التي لم تمهله
طويلا، وكأنه الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي الذي غنى
للحياة كثيرا، رغم أن الحياة لم تعطه إلا ٢٥ ربيعا فقط قبل
أن يذهب إلى دائرة الظلمات!

الشابي صاحب ديوان (أغاني الحياة)، وقصيدة (إرادة
الحياة)، وقصيدة (نشيد الجبار)؛ كل تلك الأناشيد الخالدة لم
تشفع للشابي شيئا عند الحياة التي لا تلتفت لفرحنا أو
حزننا.

وكذلك عزيزي الذي رحل قبل سنوات عن هذه الحياة.

رحل، لكن ما تزال بسمته ماثلة أمام عيني وكأنها
اللحظة، لم أجد مثله ولا مشابها له ممن أعرف؛ إنه نسيج
وحده.

لا يهم الأسماء ولا الأوصاف ولا الأماكن، أنا وحدي
من عاش كل تلك الأحداث التي صارت ذكريات اختزنها
طوال العمر.

أنا من أعرف الشخص الغريب، ومن عاشره زمنا
طويلا، لذا افتقدته أنا - ربما لوحدي وكأنه أندلس الغياب
عن العرب!

لا الوصف يدنيه من الخيال، ولا الذكرى تبعثه من
الرمال.

لا أدري ما الذي دفعني لرقم هذه الكلمات هنا على
حائط الفيس؟

أظنها خلجات نفس أردت أن أبوح بها في هذا اليوم
الغائم؛ فالغيوم ذكرتني برحيله ذات يوم غائم،

ومن بعدها لم تشرق الشمس؛ فهل حملها معه في
غيابه الأبدى؟

حتى تمنيت كما قال المتنبي:

فليت طالعة الشمسين غائبة

وليت غائبة الشمسين لم تغب

وليت عين التي آب النهار بها

فداء عين التي زالت ولم تؤب

لقد رحلت تلك العين الساحرة والناظرة، وبقيت في
دوامة الدنيا أطرق أبواب الذكرى كلما هزني الشوق، ولكن
هيهات لنا لقاء بين عالمين متناقضين.

فالسalam على الراحلين الخالدين في قلوبنا أبد الدهر



أيها المبتسم في وقار!



أيها المبتسم في وقار:

رحلت قبل ٩ سنوات ولم تعاصر الأحداث التي تنبأت
ببعضها؛ لقد أقبل (الطوفان) * و(الزلازل) *، لأننا نعيش
(على حافة الزلازل) * وأرضنا تعيش (على حافة الانتحار)
*، وها هو (الغد المشتعل) * الذي حدثنا عنه، وقد مورست
علينا (ألعاب السيرك السياسي) *، ونكاد نتأرجح (على خط
النار) *؛ لذا نحن هنا في (الطريق إلى جهنم) *.

أستاذي الغالي:

لم يتم فك (لغز الحياة) * ولا (لغز الموت) * بعد، رغم أن علماء الأحياء في مشروع (البروتتيوم) بعد أن أنجزوا مشروع (الجينيوم) عام ٢٠٠٣م، أما قوى الجاذبية فقد أرسلت موجات الجاذبية التي التقطناها.

لقد كنتَ حاضراً أيام سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م وبعدها جرفك عنا الزهايمر، لكن السقوط توالى بعد ذلك!

أيها النائم في سكون:

(المعركة الكبرى) * لم تبدأ بعد، ولا أظن هذا الجيل قادراً على خوض أي معركة حاسمة؛ لأن معارك الأمعاء الجائعة أشد ضراوة.

(العلم والإيمان) ذلك التراث الخالد الذي بدأت منذ أيام الرئيس السادات في مطلع السبعينات ما يزال مائدة الفضائيات رغم وجود قنوات متخصصة في الوثائقيات.

هذه الوثائقيات انتجت عنك برنامج اسمه (مصطفى محمود.. العالم والإيمان)!

ومع ذلك لم يستطيعوا أن يخرجوا إلى النور المسلسل
المزمع إنتاجه عنك.

الكلام كثير أيها الراحل المقيم معنا بفكرك وكلماتك،
لكن:

ما تزال بحلقي ألف مَبْكِيَّةٍ
من رهبة البوح تستحي وتضطربُ
كما يقول مولانا البردوني.

نم مطمئنا، فأن (شوية الأوراق التي ستقابل ربنا بيهم)
لم تذهب سدى؛ فما تزال متداولة بيننا أيها الراحل المقيم.

أخيرا:

هل تعرف أن إحدى وكالات الفضاء أطلقت اسمك على
أحد الكويكبات السيارة في الفضاء الكوني؛ إنه (٢٩٦٧٥٣)
Mustafamahmoud، وذلك قبل رحيلك بـ ١٢ يوم!

ملاحظة:

الأسماء التي جوارها علامة (*) هي عناوين كتب
للراحل الذي ترك وراءه قرابة من ٨٩ كتاباً متنوعاً بين
الفكر والسياسة والقصة والرحلات.

روح أمي اليمن

تعبر أغنية (أمي اليمن) عن حضارة أمة بأكملها؛ لأن الفنان أبا بكر سالم بعبّر عن حضارة كاملة - كما قال الشاعر عبد الرحمن الأبنودي.

هذه الأغنية التي أحس أن أبا بكر سالم بلفقيه شدا بها من أعماقه، ولا غرابة؛ فهو كاتب الكلمات والملحن والمؤدي، وفيها تسمع لحن الكمان في انفراده، وكذلك الشبابة، الاستثناء الوحيد هنا هو العود الذي لم يكن طاغيا كما تعودنا في أغانيه، ولا أدري لماذا؟

أما الكورس فيحاول أن يجاري أبا بكر، لكن هيهات!!
وتجد ابتسامة أبي بكر مع جملة "من يشبهك من".

وأظن الرجل أراد أن يُخرس كل ناقيه حول الانتماء
إلى اليمن بعد حصوله على الجنسية السعودية، فكانت هذه
الأغنية.

وتجد ذلك في قوله "أنت الأصل والفصل والروح
والفن"؛ الروح روحه هو، والفن من لديه، وتجد هذه الروح
عامرة لديه وهو يشدو: "أمي... أمي اليمن في داخل القلب
حبك في الفؤاد استبا".

وبعدها حشد رموز التاريخ " بلقيس... أروى... وسبأ"
بعد استدعاء كاتب التاريخ ليسجل بكل توضيح، رغم أنه
وقع في خطأ تاريخي - ربما غير مقصود - فسبأ ليست امرأة
بل رجل!

جاء في مسند الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهْيَعَةَ بْنُ
عُقْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ
السَّبَائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَغْلَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ
عَبَّاسٍ، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ سَبِيٍّ، مَا هُوَ أَرْجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ؟

فَقَالَ: "بَلْ هُوَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ، فَسَكَنَ الْيَمَنَ مِنْهُمْ
سِتَّةً، وَبِالشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةً، فَأَمَّا الْيَمَانِيُّونَ: فَمَذْحِجٌ وَكِنْدَةُ
وَالْأَزْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَأَنْمَارٌ وَحَمِيرٌ، عَرَبَاءُ كُلِّهَا، وَأَمَّا
الشَّامِيَّةُ فَلَحْمٌ وَجُذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَغَسَّانٌ".

وبعدها ذهب أبوبكر يؤكد على أصالة هذا الشعب في
أعراقه القحطانية والعدنانية:

"يا أصل قحطان يا نسل عدنان"

ومن ثم راح يشدو:

"عيني على كل من حَلَّتْ قَلْبِيهِ الْيَمَنُ

عيني على كل من يهوى ربوع اليمن".

وما أجملها تصغيره لكلمه (قلبه) بـ(قلبيه)، وهو
تصغير للتحبيب.

وهنا يبدو حنين المغترب اليمني كان طاغيا وهو
يتشوق لربوع اليمن.

أقول: لو لم يغنِ أبو أصيل إلا هذه الأغنية لكانت
أصالته واضحة.

رحمه الله تعالى.

أصحاب إرادة

أصحاب إرادة أولئك البشر الذين يتركون الفيسبوك!

هكذا بدأ حديث السندباد معي:

قائلا: ما تزال تعوم في بحار هراء الفيس؟!

قلت: نعم، رغم أنني في الواقع لا أستطيع السباحة :)

ضحك وقال: وهنا تكمن كارثة الفيس؛ أنه يجعلك قادرا

وأنت لست كذلك.

قلت: كيف؟

قال: الفيس مجرد عالم من الوهم اللذيذ الذي يحسسك

بالقرب وأنت أبعد الأبعدين، هناك بشر كثيرا متفاعلون معك

لكنكم في الواقع المعاش عاديون في التعامل معك.

قلت: طبيعي.

قال: يا صديقي الفيسبوك مجرد عالم من الأوهام.

قلت: أحم أحم...

لو على الفلسفة، ما دنيانا كلها وهم كبير؛ هل رأيت
الفيلم الوثائقي (السر وراء المادة)؟

قال: نعم شاهدته، وفهمت ما تقصد.

قلت: في الأثر "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا".

قال: يا صديقي وما الفيس إلا صورة مصغرة لهذا
الوهم الكبير.

قلت: لكني مرتبط بأشخاص عبره، ولعلك أول هؤلاء!

ضحك وهو يقول: هذه رشوة منك حتى أغير رأيي حول
الفيسبوك، لكني لا...

هناك قنوات اتصال كثيرة غير الفيسبوك.

اصحى يا صاحبي لا تقع فريسة التكنولوجيا...

اصحى يا رجل العلوم..

كم أضاع عليك الفيسبوك أوقاتا كنت ستقرأ فيها كتباً مفيدة؟

قلت: الصدق، كثير!

قال: إنه الإدمان الذي يعيش في النفوس و...

قلت - مقاطعاً: صديقي من على أي خط طول تحدثني؟

قال: ألم يخبرك الفيسبوك؟!

هههههههه

قلت: لا.

قال: ما عليك من هذا السؤال (التقليدي).

عد للقراءة؛ هنا مجالات في العلوم يجب أن ترتادها يا باش مهندس.

الأسابيع القادمة سأرسل لك كتاب جديد، ولتتذكر الجملة التي بدأنا حديثنا بها "أصحاب إرادة أولئك البشر الذين يتركون الفيسبوك!"

قلت: أشكرك مقدما على الكتاب.

إدمان الفيسبوك أصبح مثل الوقوع في الحب!

لذا، أصحاب إرادة أولئك البشر الذين لهم قلوب
(مصفحة) مكتوب عليها:

"ضد الخدش"!

قال: وأنت يا صديقي أليس لك قلب مصفح؟!

قلت: هذا حديث سيكون مع وصول كتابك الجديد.

#أحاديث_السندباد

ذات مباراة

انتهت مباراة كاس العالم ٢٠١٨م وحاز الفرنسيون

الكاس للمرة الثانية في تاريخهم، فقد حازوا عليه لأول مرة عام ١٩٩٨م أي قبل عشرين سنة كاملة!

أول مباراة عملاقة شاهدها للفريق الفرنسي كانت ضد البرازيل في دوري ربع النهائي في كاس العالم ١٩٨٦م – كنت حينها في السادس الابتدائي – كانت المباراة ليلة أول امتحان لي في ذلك الصف الذي كان حينها وزارني!

تابعت المباراة في أشواطها الأربعة – الأصلي والإضافي قبل اختراع الهدف الذهبي- وكانت النتيجة سلبية ولم تحسمها إلا ضربات الترجيح التي رجحت كفة فرنسا على البرازيل، رغم أن كبار اللاعبين من الفريقين أضاعوا ضربات الجزاء؛ ميشيل بلاتيني الفرنسي (الذي أصبح مدرب

الفريق بعد ذلك) وسقراط البرازيلي (الذي مات عام ٢٠١١م)!

لكن فرنسا خسرت أمام ألمانيا بعد ذلك فتأهل هذه الأخيرة لتلعب النهائي مع الأرجنتين التي فازت بالكأس آنذاك وسطع نجم اللاعب الأسطورة ديغو مارادونا.

ومرت السنوات وجاءت نهائيات كأس العالم ١٩٩٨ م – أي بعد ١٣ سنة- الذي أقيم في فرنسا، وفي النهائي التقى المنتخبان الفرنسي والبرازيلي لتفوز فرنسا ويكون أول كأس تحزره في تاريخها، يومها سطع نجم اللاعب ذو الأصول الجزائرية زين الدين زيدان.

لما سطع نجمه تذكرنا أن زين الدين زيدان جزائري!
تماما لما فاز د. أحمد زويل بجائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩م تذكرنا أنه مصري!

ولما أصبحت نجاة بلقاسم وزيرة لحقوق المرأة والناطقة الرسمية باسم الحكومة الفرنسية عام ٢٠١٢م تذكرنا أنها مغربية!

هكذا نحن العرب لا نذكر مبدعينا إلا حينما يلمع نجمهم
في بلد الغربية!

لم نسأل: لماذا تألقوا هناك خارج الحدود وخفتوا
داخلها؟

نعود لمباراة عام ١٩٩٨م؛ يومها كنتُ طالبا أدرس
الهندسة الميكانيكية في مستوى ثالث في العراق، وكانت
سنة ١٩٩٨م سنة مفعمة بالأحداث التي اجتاحت بغداد لعل
أهمها ضربات الصواريخ والطائرات في رمضان، هذه لها
حديث آخر ربما نقوله في قابل الأيام.

يوم المباراة كنتُ ساكنا في (حي الأثوريين في منطقة
الدورة) شرق بغداد، وكان أصدقائي اليمنيون ينتظرونني
أحضر معهم لمشاهدة المباراة في (منطقة القاهرة) غرب
بغداد، فكان عليّ أن أجتاز بغداد من طرفها إلى طرفها
لمشاهدة المباراة، وهذا ما تم!

مشوار طويل عبر طريق القادسية السريع الذي
أوصلني مع صافرة البداية، لكن المباراة كانت فاترة من
جانب الفريق البرازيلي (الذي كنت أشجعه!)

اللافت للنظر أن الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك
كان حاضرا المباراة مرتديا قميص المنتخب الفرنسي!
وهكذا فازت فرنسا بكأسها الأول.

صار حضور السياسيين المباريات الختامية ملفتا، كلنا
يذكر حضور المستشار الألمانية أنجيلا ميركل لنهائي كأس
العالم ٢٠١٤م يومها فازت ألمانيا وكرمت المستشار
ميركل المنتخب، لكنها لم تكن لابسة قميص الفريق بل
ملابسها المعهودة!

في نهائي كأس العالم ٢٠١٨م حضرت الرئيسة
الكرواتية كوليندا كيتاروفيتش، لكن فريقها خسر المباراة
أمام فرنسا!

لم ألقَ حاكما عربيا لبس قميص منتخب بلاده في
مباراة كأس العالم ربما لعلمهم أن أي فريق عربي لن يتأهل

حتى دوري الـ ٨ (شذت المغرب التي تأهلت لدوري الـ ١٦ في كأس العالم ١٩٨٦م)، فما بالهم بالمباراة النهائية!

أعوام عديدة ١٩٨٦م - ١٩٩٨م - ٢٠١٤م -
٢٠١٨م، فلو استثنيا عام ٢٠١٤م، لكان الجامع بين
الأعوام الثلاثة الأخريات هو الرقم ٨، ذلك الرقم الذي يشير
إلى الدوري الذي لم يصل إليه العرب حتى اليوم باستثناء
المغرب.

وكل كأس عالم وأنتم طيبون!!

الكاتب الأسطورة

اقترح عليّ صديقي العزيز الكاتب ثابت الأحمدى أن

أكتب مقالا عن الدكتور خالص جلبي – الكاتب المشهور،

والحقيقة لم تغب عن بالي أعمال هذا الكاتب الكبير بل

والغريز الإنتاج، لذا كانت دعوة صديقي الأحمدى كمن

يلقيني في عباب زاخر بلا شاطئ!

فأنا كقارئ نهم لأعمال د. خالص جلبي أحس بالرهبة

من مجرد التفكير بالكتابة عن أعمال هذا الكاتب الأسطورة –

كما سماه صديقي الأحمدى – وهو كذلك.

وأقول عن ثقة: إنه لا توجد مطبوع عربية من الخليج

حتى المحيط إلا وقد نشرت له مقال، بل مقالات عديدة سواء

كانت صحيفة أو مجلة أو حتى موقع إلكتروني مرموق!

غزارة الإنتاج لدى هذا المبدع غيّرت وجهة نظري عن كتاب الأعمدة اليومية – فالمتعارف لدينا أن الكتابة اليومية محرقة لكل مخزون فكري وإبداعي لدى الكاتب؛ إذ تستهلك كل فكرة لأن الطلب اليومي يجعل الكاتب يفكر في ملء تلك المساحة المطالب بها خلال وقت قصير لا يتعدى الـ ٢٤ ساعة، فيلجأ للحشو!

لكن د. خالص جلبي قدّم خلال مسيرته الطويلة مع الصحافة العربية مقالات يومية تنبض بالفكر الزاخر من بحر العلوم الإنسانية من شتى البساتين شرقاً وغرباً، ساعده على ذلك إجادته للغتين الألمانية والإنجليزية معاً مع إجادته – بالطبع – للغته الأم العربية – بكل هذه المفاتيح نفذ إلى مفاتيح العلوم ينهل منها ما شاء ليعيد إنتاجها – بعد مزجها بفكره الخالص – على هيئة مقالات عديدة في لغة سهلة ممزوجة بصيغ قرآنية بدون تقعر ولا زخرفة لفظية فارغة المضمون.

د. خالص جلبي رفع شعار أكاديميته على ثبج الإنترنت أنها تطير إلى المستقبل بجناحين العلم والسلم؛ أما الجناح

الأول فهو العلم باسمه الجامع من شرعي وطبيعي؛ فالرجل يحمل إجازة دكتور في الطب البشري والدراسات العليا (جراحة عامة) من جامعة دمشق بين عامي ١٩٧١م و١٩٧٤م على التوالي، إلى جانب إجازة بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق عام ١٩٧٤م، ثم أكمل تعليمه في ألمانيا ليتحصّل على شهادة دكتوراه في الجراحة عام ١٩٨٢م التي عدلت إلى دكتوراه حسب مقاييس الهيئة السعودية للتخصصات الصحية.

العلم الذي يقدّم نتائجه د. خالص جلبي هو العلم الطبيعي يستخلصه من ينابيعه الصافية، ولعل مجلة دير شبيجل الألمانية هي من أهم مصادره إلى جانب مصادر الاطلاع الأخرى، والتي يعرض لها في الكثير من مقالاته تحت عنوان (الكتب العجيبة) أو (أجمل الكتب التي توقظ العقل)؛ هذه الكتب ليست محصورة على كتب العلوم بل تعددت إلى كتب التاريخ والفلسفة والتفسير والفكر وغيرها، حتى عدّ في إحدى مقالاته أكثر من ١٣٠ كتابا يقترحها

على قرّائه للتأسيس المعرفي منها كتب ذات أجزاء كثيرة
(سلسلة قصة الحضارة أنموذجاً)!

وفي نيته - كما ذكر في إحدى مقالاته - إصدار كتاب
بهذا الصدد للتأسيس المعرفي بعنوان (قوانين البناء
المعرفي) يتناول في حدود ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كتاب للبناء
المنهجي وتأسيس الوعي.

ولكنه لا يرى العلم مجرد جمعا للكتب فيقول:

"العلم والتعليم إذاً ليسا جمع معلومات، ولا شحناً
لبطارية الذاكرة، وإن كان هذا يلعب دوراً فيه، ولكنها عملية
عقلانية تنزل إلى مفاصل السلوك كي يؤدي مشية سوية
على صراط مستقيم".

وقد عرض في إحدى محاضراته ٣٩ قانون مما سماها
قوانين الثقافة والبناء المعرفي.

أما الجناح الثاني وهو جناح السلم؛ فالدكتور خالص
جلبي من دعاة المقاومة السلمية للاستبداد على خطى
غاندي مع تطوير المنهج؛ كما أشار إلى ذلك في الكثير من

كتبه مثل (بناء ثقافة السلم) و(فلسفتي) و(الزلازل العراقي) وغيرها.

ومفهوم اللاعنف يعترف د. خالص جلبي بأستاذية جودت سعيد فيه، لكن د. خالص فهمه على نحو مختلف واشتغل على تطويره حتى أصبح ناطحة سحاب – بحد تعبيره!

فراح الرجل يحلل سيكولوجية العنف والطغاة والمرض الفرعوني وكيفية الخروج بجيل التيه والخوف من هذا النفق المظلم، ويعرض لفلسفة الحرب وموت مؤسستها.

ولو سألناه لماذا اللاعنف في عالم مليء بالعنف؟

لأجاب: "لأن اللاعنف يعني تلقائيا ولادة العقل، وهو لم يولد بعد في العالم الإسلامي".

و"العنف لا يولد إلا العنف".

الحقيقة أفكاره حول اللاعنف تكاد تكون مبنوثة في كل كتبه تقريبا وكثيرا ما يدور حولها وربما هي همه الأساسي، وقد عرضها وحللها بعمق مستندا على ثقافته الموسوعية

في علوم النفس والتاريخ والتفسير، وهذا الأخير وقف عنده د. خالص بغاية مستنطقا آياته العديدة بعيدا عن التفاسير الجاهزة والتي كُتبت تحت نظر الحاكم الأموي، بل نراه يردد ما قاله والد محمد أقبال لهذا الأخير ناصحا "اقرأ القرآن كأنه أنزل عليك!"

ولست هنا في صدد الإحاطة بكل أفكاره في هذه العجالة، لأن عملي هنا مثل لعب طفل صغير على شاطئ البحر العظيم!

ولو أردنا أن نعرّف د. خالص جلبي بكلمات يسيرة فلن نجد أبلغ من قوله نفسه:

"أنا سوري المولد. عربي اللسان. مسلم القلب. ألماني التخصص. كندي الجنسية. عالمي الثقافة. أتكلم بلسانين من التراث والمعاصرة، وأطير إلى المستقبل بجناحين من العلم والسلم، وهي الزاوية التي أعنونها لمقالاتي في العادة".

اليمني ورحلة الشتات

الاستقرار مطلب كوني من الذرة إلى المجرة ويمكنك

أن تجد هذا مجسدا في عالم الذرة؛ فالإلكترون لما يتلقَ دفعة من الطاقة يغادر المدار الذي كان يدور فيه حول النواة إلى مدار أعلى منه، لكنه ما يلبث أن يضخ هذه الطاقة المكتسبة على هيئة ضوء ليعود إلى مداره الأصلي!

والإنسان لا يكاد يشذ عن ذلك فهو محب للاستقرار، وبدأ ذلك مع الثورة الزراعية في الألف التاسع قبل الميلاد، وزاد هذا الحب مع نشوء المدن الأولى نواة الحضارات القديمة في سومر العراقية وطيبة المصرية وأزال اليمنية.

جرب المواطن اليمني الغربية منذ زمن الهجرات الأولى في عهد التابع اليمني الأول (يعرب يمن) في مطلع الألف الخامس قبل الميلاد، ومن يومها لم تتوقف الغربية!

لكنّ اليمنيون بدأوا رحلات الشتات - بمعناها الحالي- مع تهدم سد مأرب في القرن الثاني قبل الميلاد.

أنا شخصيا عندي شتات في بُعد المكان؛ فلا أكاد أحده بشكل صحيح!

وأظن ذلك يعود لعدم استقرارني في هذا البُعد المراوغ؛ فأنا منذ ميلادي لم أستقر في بيت واحد بل تنقلات - مثل البدو الرّحل - مع والدي وأسرّتي من بيت لآخر عبر جغرافية اليمن.

فقد ولدتُ في (تعز) - حي الميدان- في ديسمبر ١٩٧٥م، ثم عدت مع جدي لأبي إلى قرينتنا (العَمَارِيّة) في (الحداء بزمان) حتى سن الرابعة انتقلت فيها إلى مديرية (السيّاني - إب) - مكان استقرار الوالد.

في عام ١٩٨٣م انتقلت الاسرة إلى (تعز) ومكثنا هناك إلى عام ١٩٨٩م؛ وهو العام الذي انتقلنا إلى (إب) واستقرينا فيها حتى الآن.

وفي عام ١٩٩٤م سافرت إلى العراق للدراسة الجامعية حتى عام ٢٠٠٠م، وبعد عودتي مكثت في ذمار بحكم العمل خمس سنوات حتى عام ٢٠٠٥م، وخلالها عشت طيلة عام ٢٠٠٤م في عدن لما كنتُ في دورة تدريبية هناك.

خلال هذه الفترة الطويلة تنقلَ الوالد عبر عدة بيوت بسبب عدم امتلاكنا بيتاً حتى اليوم؛ حتى أنني قلت لصديقي ثابت الأحمدى - في الخاص- أنا في (إب) ما أزال مستوطننا ولست مواطناً!

هذا الشتات الذي أعيشه داخل الوطن - ومثلي كثير - أظن أنه ما هو إلا انعكاس لشتات اليمن عبر العصور!

اليمني مواطن مشّت في همومه اليومية، فلا يكاد يخلص من هم حتى يطبق عليه همّ جديد في متوالية هندسية تتوالد باستمرار.

وتكاد الحكومات المتوالية عليه لا تفعل شيئاً سوى ترحيل حل مشاكله إلى الحكومة التي تليها، فتتراكم تلك المشاكل ككرة الثلج المتدحرجة، وهكذا دواليك تدور عجلات

الزمن ليجد المواطن نفسه لا يكاد يلتقط أنفاسه وهو يخرج
من نفق إلى آخر في رحلة الشتات التي يعيشها مع تقدم
العمر على جغرافية الأرض اليمنية.

وإذا ما عزت عليه الحياة في اليمن فإنه يغادر جغرافية
اليمن في شتات جديد، وأي شتات!

إنه شتات المغترب الحامل للوطن في صدره!

لأنه لا يكره الوطن أو الأرض، إنما كرهه للظروف
والأحوال المعيشية المتردية التي أصبحت لا تُطاق، في ظل
سياسيين مغامرين لا يحسون ولا يشعرون بالآلام المواطن
البسيط!

حتى وسم اليمنيون بالغربة.

فتساءل الشاعر المبدع يحيى الحمادي:

فهل كُلُّ مُفَارِقٍ وَطَنًا يَمَانِي؟

إنه المغترب الذي لا يكاد يفارق وطنه، فإنه يهاجر
وطنه معه ومشاكل الوطن (محلقة) فوق رأسه!

فيصبح شتاته شتاتا من نوع فريد!

أنا اليمني يا حزن اليمني!!

لم أعد أبالي!

لم أعد أبالي بتقلب مشاعر الآخرين، ولم أنتظر تصافيا من أحد، خصوصا في هذا الزمان الرديء؛ زمان الروبوتات البشرية!

فمن قال إن الطيبة دوما يُرد عليها بطيبة؟

ألم يقل الإمام الشافعي:

فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهَوَّاكَ قَلْبُهُ

وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا؟

وكذلك يقول د. أحمد خالد توفيق:

"أن تتوقع أن يعاملك العالم برفق لأنك إنسان طيب،

أشبهه بأن تتوقع ألا يلتهمك الأسد لأنك نباتي لا تأكل

الحيوم!"

لذا لا تبحث في تقلبات الوجوه عن صدئ أو ظل
لإنسانية متبقية إلا لِماما!

قليلون هم الرائعون، لكنهم نجوم تضيء في هذا السديم
المطبق علينا من كل الجهات.

قليلون نعم!

لكن الواحد منهم بألف، بل بمليون من هذا الغثاء الذي
نلتقي به كل يوم؛ في شوارعنا،

في مقرات أعمالنا،

في (مقايِلنا)،

وعلى شاشات السماوات المفتوحة،

وفي صفحات الإنترنت.

نحن - يا سادة - في الزمن الأخير ولسنا في عصور
البدايات النقية.

نحن معجونون برتابة الآلة وزور السياسة وخبثها،
فماذا نتوقع كيف تكون حياتنا؟

صورة طبق الأصل من هذه التقلبات جميعها.

ولم يعد من هدوء إلا في ذكريات مخزونة قليلة في
ذاكرة من عاش منا أيام قديمة جميلة، هذا إن وجدت!

واستطاع أن يحافظ على ذكرياته فلم يصبها التلف.

لكنها – ويا للأسف- تظل مجرد ذكريات، أي مجرد
بايتات Bytes لا وجود لها حقيقي على أرض الواقع.

عن ذلك يقول د. أشرف فقيه - دكتور حاسوب وكاتب
خيال علمي:

"إن هذه الحضارة الرقمية هي من التفاهة والعدمية
بمكان!

إنها إلى زوال حتمًا؛ لأنها في الأساس مضادة للكينونة
وللحيّز الوجودي!

ما معنى البتّ والبايت والتيرا بايت؟

ما معنى أن تكون صورك ومستنداتك وذكرياتك مخزنة
على السحابة؟

أم تكون تفاصيل حياتك رهن هاتفك الجوال؟
 ما معنى أن تلغي شيئاً بأن تلقي به في سلة مهملات
 إلكترونية.. تضغط زر "دليت". هل تفهمني؟
 .. ومع ذلك فلا بد أن ندرك كم هي متهافئة ولا شيءية
 هي هذه الحضارة الرقمية.
 وكل ما خلق من البتّ فمصيره مرهون بسيرفر
 الضياع".
 حياتنا أصبحت أقرب للعالم الافتراضي، إذا لم يتفوق
 هذا الأخير عليها في حيويته!

طاب مقيلكم أيتها الروبوتات الآدمية! ☺☺

أنا والعلوم

إن ارتباطي بالعلوم ليس مجرد اطلاع لحب الاطلاع، لكنه نتيجة لقراءات طويلة أوصلتني لقناعة راسخة أن العلوم - والطبيعية منها بالذات - هي المنفذ الآمن لصناعة المستقبل. ستقولون: أين هذا المستقبل الذي نتحدث عنه وسط ركام الخراب الذي يلف المنطقة عامة واليمن خاصة؟ أجيب: نعم هناك خراب ودمار ويأس يخترم القلوب، لكن التاريخ يقلّب صفحاته وفي الأخير لا بد من بداية جديدة. لابد أن يتغيّر الوضع. لا شيء يظل على حاله أبداً. لذا لن نلغي المستقبل لمجرد سوداوية الحاضر، أو أننا لا نستطيع تخيل المستقبل!

في تاريخ العلوم هناك اكتشافات ظهرت وسط حروب
طاحنة؛ لقد قدّم آينشتاين نظريته المبهرة النسبية العامة
ضمن سنوات الحرب العالمية الأولى التي طحنت أوروبا
عامة وبلده ألمانيا خاصة!

وقدّم عالم الفيزياء الألماني كارل شفارتسشيلد أول حل
دقيق لمعادلات آينشتاين للمجال في النظرية النسبية العامة،
في عام ١٩١٥م حيث توصل إلى هذا الحل في خنادق القتال
أثناء الحرب العالمية الأولى!

وغيرها الكثير من الأمثلة الماثلة في تاريخ العلم.
إن مَنْ يقف عند لحظة الحدث عاجزا، كمن يقف عند
قطرة من نهر جارٍ، وينسى المياه المتدفقة الغزيرة!
الحياة هي المعرفة، والمعرفة هي الحياة، والعلوم هي
روح الحياة نفسها، ووسيلتنا العظمى لسبر أسرار الكون.
العلوم تطوّر من تفكيرنا الاجتماعي، وتجعلنا نؤمن
بالتعايش بدون قرار سياسي!

لأن من يعلم يدرك – ولو إماما- بعض قوانين الكون
التي تأخذ في اعتبارها كل شيء من الذرة حتى المجرة.

فكيف بعد ذلك يبرر إلغاء الآخر باعتباره مغايرا له؟!!

لو لم يكن مغايرا له لما كان آخر!

العلوم هي المستقبل الذي لا يلغي الماضي، بل تضيف
عليه وتبني، وتاريخ العلم ما هو إلا ثمرة من تراكمات
القرون الخوالي، كل أمة – في أوج حضارتها - تضيف
لمعمار العلم الشامخ لبنة أو لبنات، لتكمل الحضارات اللاحقة
تشيد هذا المبنى العظيم، فالعلم في نهاية المطاف هو تراث
البشرية جمعاء.

كما قال رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة للفترة
(١٩٧٤-١٩٩٥م) د. إبراهيم مدكور:

"العلم هو تراث البشرية جمعاء، ويجب أن نفسح
المجال فيه بتبادل الألفاظ كما نتبادل الأفكار والمعاني".

العلوم هي لغة الشعوب للتفاهم من أذغال أفريقيا حتى
مختبرات (سيرن)!

وتكاد تكون لغة العلم لغة عالمية لكل الشعوب.

خذ أنموذجا قوانين الفيزياء أو الرياضيات، ومثلها رموز العناصر الكيميائية وغيرها.

فهل هناك كيمياء شرقية وأخرى غربية، اللهم في تصنيف تاريخ العلم؟

إن لغة الكيمياء واحدة في كل مختبرات العالم، وهنا تكمن موضوعية العلم الذي لا ينحاز لجنس على آخر.

إن تضافر العلوم مجتمعة تصنع الإنسان بحقيقته، بل تبصر الإنسان بمكانته في الكون الشاسع وهو يستخدم أدوات العلوم المختلفة لسبر هذا الكون، وضمن ذلك سبر نفسه!

في العلوم سيكون حتى الأدب والفن حاضرين؛ لأن العلوم لا تلغي أي واحد من هؤلاء.

يقول فيلسوف العلم ديفيد بوم:

"الفيزياء صورة من صور البصيرة، مثلما هي صورة
من صور الفن!"

في حين يقول د. أحمد مستجير في كتابه في بحور العلم
- الجزء الثاني، ط ٢، ٢٠٠٩م، ص ٧١-٧٢:

"ثمة ارتباط بين إفراز الملح " كلوريد الصوديوم"
والبكاء العاطفي، وإن كانت نسبة الملح في الدمع تقل عن
نسبته في الدم، لكنك إذا بكيت طويلا، زاد تركيز الملح في
الدمع حتى ليحرق.

أما ترى شكسبير في (الملك لير) يعبر عن الحزن
العميق بقوله: 'دموعي تحرق، مثل رصاص مصهور'!"

العلوم اليوم تبرعت وصنعت انفجارا معرفيا يحتاج
أعمارا للإلمام بنتائجها المذهلة، وهي قفزات نوعية خلال
فترة زمنية تكاد لا تتعدى الخمسة قرون.

لكن الجميل والغريب في الأمر معا أن الإنسان كلما
توغل في سبر أعماق الكون وأعماق نفسه يكتشف أنه

يجهل الكثير، عبّر عن ذلك د. شامل ذكريا بمقال عنوانه
(خمسة قرون ثورة علمية ونجehl الكون)!

أليس هذا هو نفس معنى بيتي الإمام الشافعي:

كلما أدبني الدهرُ ... أراني نقصَ عقلي

وإذا ما ازددتُ علماً... زادني علماً بجهلي

فتعلموا يرحمكم الله.

#المجد_للعلوم

اسمها حورية

٢٨ يوليو عام ٢٠٠٢م لم يكن يوما عاديا، عندي

على الأقل!

كان يوم الأحد، المكان مديرية (السياني - إب).

في صباح ذلك اليوم البعيد صعدت إلى بارئها روح
إنسانة عظيمة، نادر أن يجود الزمان بمثلها.

كانت امرأة فاضلة، رحيمة، ودودة، إنسانة بكل ما
تعني الإنسانية؛ إنها خالتي وصديقتي وأمي معا!

هي حورية عبد الله المروعي، واحدة من الأمهات
اللواتي ربينني - رحمهن الله جميعا وجزاهن أعظم الجزاء
على ذلك.

حورية اسم على مسمى؛ فأنا لم أنس تلك الفاضلة ما
حييت ولا أظنني سأفعل!

وكأني أردد مع أحمد شوقي:

شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي

(شَخْصُهَا) سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ حِسِّي.

عشتُ في كنف هذه الفاضلة سنوات الطفولة والشباب
كواحد من أبنائها، حتى أنها كانت تقول لي أنت عاشر هؤلاء
التسعة!

كنا في (تعز) مع الأسرة وهي في (السياني)، لكن
الخميس والجمعة عندها كل أسبوع، وإذا لم نأت نحن جاءت
هي إلينا في (تعز)!

كان يوم مقدمها علينا يوما رائعا ببسمتها الصافية
الحنونة وروحها المرحّة.

لقد تعلمتُ منها حب الحياة؛ تلك الحياة التي لم تمنحها
إلا خمسين ربيعاً من عمرها المبارك لترحل عنا ذلك اليوم
البعيد.

ما زلت أتذكر ذلك اليوم البعيد؛ فلم أكن موجوداً في
(إب) حينها كنتُ في صنعاء في مناسبة هناك، لكن خبر
الوفاة الذي نقله لي والدي قلبَ كياني كاملاً وجعل الدنيا
تضيق عليّ بما رحبت!

لم يكن من حضوري فائدة وقد سكن الجسد وفارقه
الروح الطيبة، لذا حضرتُ متأخراً جداً – كما هي عادتي في
كل محفل!!

لم أصدق طيلة أيام العزاء أنها ماتت، كنتُ أوهم نفسي
أنها في المطبخ وستأتي بعد دقائق لتقدم لنا ما نأكله!!
كم يحلو للإنسان أن يحيا في الوهم أحياناً إذا لم يتقبل
الواقع.

حملني زوجها خالي عبد الرحمن – طيّب الله ثراه- إلى
قبرها ثاني يوم وصولي (السيّاني)، لم أصدّق أن كل تلك
الروح المفعمّة بالحياة يتضمنها هذا القبر الضيق؟!!

لكنني صدّقت أنها ماتت!

هناك هجم الحزن عليّ متوحشا ناشبا أظفاره وأنيابه
القدرة في كل خلايا روحي، إن كان للروح خلايا!

كتبْتُ قصيدة في رثائها وألقيتها في (يوم العاشور)،
لكن ما قيمة الكلمات أو الشعر؟

هل ترد غائبا؟

إنها تسلينا فقط وتلهينا لنتجرع الألم، ألم الرحيل!

نعم لقد رحلت تلك الفاضلة جسدا، لكنها ظلت ذكرى
حية حتى اليوم.

فالسّلام عليها يوم ولدتْ ويوم رحلتْ ويوم تُبعث حيا.

وأخيراً:

حياتُكَ في فم الدنيا حياتي ... أموتُكِ هل يكون به مماتي؟
 مكانُكِ لو علمت في فؤادي ... مكانَ الأمهاتِ الفاضلاتِ
 وكيف ولا؟! وأنت كنتِ أمّا ... على نفسي كباقي الامهاتِ
 أسيرُ إليك من شغفي وشوقي ... على عجلٍ كسيرِ العادياتِ
 لألتمس البراءةَ وهي تُضفي ... عليّ من لديك كما الهباتِ
 أحقاً قد مضيت - خلاك ذمّ ... وغادرتِ لدنيا
 الترهاتِ؟!!

وأضحتْ هذه الدنيا خلاءً ... من القلبِ السماوي الصفاتِ

(مقطع من قصيدة الرثاء)

نوستالجيا المواسم

لم يعد جميلا في هذا العالم إلا صوت أبوبكر سالم وهو يعيد

لنا ذكريات الأمس البعيد في نوستالجيا مفرطة!

وقصائد الحب القديمة التي تحرس البلد المريض من

الزوال!

(مع الاعتذار لدرويش).

أما الامسيات الحزينة فقد راح الوطن يقضيها على

ألواح الطاقة الشمسية المناضلة كجندي شجاع، لكنه ترك

وحيدا في ميدان المعركة الموغل بالظلام!

ها نحن (نخرش) على صفحة الفيسبوك آلامنا على

هيئة كلمات نرقمها على هذه الصفحة التي لا تسمن ولا

تغني من جوع إلا نفثة مكروب على خطنت رديء!

كلنا اليوم (دون كيشوت) معارك الفيسبوك الرقمية أو
بالأصح (البايتية)!

صدقوني:

لا يوجد بون شاسع بين مارك زوكربيرج وميجل دي
سيرفانتس!!

النوستالجيا هي كل ما عاد بأيدينا يا صديقي.

إني أستمع الآن لرائعة الأستاذ مطهر بن علي الإرياني
- ابن اليمن البار- (هيا نغني للمواسم)، فأحس برائحة
العشب تملأ أنفي، واهتزاز الأشجار متطوحة ذات اليمين
وذات الشمال مع رياح شباط التي باتت تلوك النافذة - كما
يقول مولانا البردوني!

وبعدها تأتي مواسم نيسان التي عادت وستعود دائما

رغم رحيل من تغنى لها 😞

ذلك الفنان الذي استدعى ابن الأرض اليمنية
الأسطوري (علي بن زايد) لتردد معه:

(ما يجبر الفقر جابر

إلا البقر والزراعة

وإلا جمال تسافر

تقبل بكل البضاعة

وإلا القلم والدفاتر ...).

إيه يا صديقي البعيد القريب، هل تذكر هذا الأوبريت؟

لمّا كنا نضحك من دور الممثل/المزارع (المعنوز) أمام

الفنانة مایسة الكتف وهو يقول:

(شريكته في القضية)!

لم نكن ندري معناها، حتى كبرنا وجاءت لكل واحد منا

شريكته في القضية.

تلك القضية التي لا تكاد تفترق عن الوطن/ الأرض
والتراب؛ لأن أعنفَ عشق هو عشقُ التراب وكل هوى
لسواه ضياع - كما يقول مولانا البردوني.

صديقي، أظن أن القيل اليماني مطهر بن علي الإرياني
كتب هذا الأوبريت الخالد بحس المؤرخ، الثائر؛ وكأنه
يستلهم كلماته من مشكاة مولانا البردوني، وكلاهما من نبت
هذه الأرض، بل كلنا نبت هذا التراب.

لقد قلت ذات زمن:

أنا يا دارُ نبتٍ حميريٍّ...وهذي الأرضُ عاشت في صميمي!

لا أقول في هذه الساعة وكل ساعة إلا:

رحم الله كل نبت طاهر وعاشق لهذه الأرض؛ مولانا
عبد الله البردوني، وأستاذنا مطهر بن علي الإرياني، وجعلنا
على دربهما سائرين، ولحبهما حافظين.

واستمع معي لهذا الأوبريت:

من (زبيد) لا (عدن) ... (أَرْحَبُ) و(صَعْدَه) و(صُرُواح)

تشهد أرض اليمن... في مطلع الموسم أفراح

عاد عبر الزمن... (نيسان) من بعد راح.

رمضان الموسم

نحن شعوب موسمية حتى النخاع.

يعني قبل لحظات دخل شهر رمضان (عام ١٤٣٩ هـ) -
حسب التوقيت المحلي لمنطقتي الجغرافية وضمن مجموعتنا
التي ستصوم غدا!

(مش عارف ليش لفظة الفيفا لمعت بذهني وأنا أكتب
هذه السطور؟!)

المهم، شوية ويقلب الفيس إيمان طافح حتى سطح
المكتب!

التدين أمر جيد، لكن الموسمية تحقق هذا الأمر؛
والدليل على ذلك أن الناس في رمضان يكونون شبه ملائكة
وطييين ع الآخر، وتحس أن مدينة أفلاطون الفاضلة مجسدة
لدينا، لكن يأتي يوم العيد يعاد ضبط المصنع!

سيقول قائل: هذه مواسم عبادة وطاعة.

طيب متفقين، والشهور الباقية مواسم أيش؟

وأي تدين نتحدث عنه؟

الصوم؟ أم التسابيح؟ أم التراويح؟ أم ...

كلها طقوس تمس الفرد وتعود على الفرد، لكن ما

أثرها على المجتمع؟

لماذا وقفنا عند (الطقوس) ولم نبحث عن ما وراء

الطقوس وأثرها؟

كن إنسان أولا وأخيرا، في رمضان أو في غير

رمضان.

أنا شخصا سأكون صادقا وأقول لست من المتحمسين

جدا لرمضان!

شهر كريم نعم، لكن نحن لسنا كرماء.

الشهر لدي يلخبط مواعيد نومي وأكلي.

التدين الذي أراه في هذا الشهر الفضيل، أراه مجرد
أعراض مؤقتة لا يبقى منها شيء بعد رمضان.

أعرف أن هذه الكلمات مستهجنة للعامة، لكن هذه
الحقيقة!

أضحى رمضان موسما تمر به الأمة مثل أي موسم آخر
لو نحينا منه (الرتوش) التي يصر البعض على إضافتها على
رمضان.

موسم مثل موسم التسوق في (صيف صنعاء) - أيام ما
كان موجود!

من يقول إن رمضان اليوم له نفحة روحانية من أي
رمضان قبل عقد من الزمن؟

هذا الرمضان صار مسخا مكررا من عملية استهلاكية
لكل شيء!

فقد صار رمضان موسما خصباً للتجار لترويج
بضائعهم؛ وكلّ حسب بضاعته؛ هناك تجار على الأرصفة
وآخرون على القنوات وصنف على المنابر وهكذا...

طبعاً هناك المؤمنون الصادقون الذين يريدون الخير
للناس في هذا الشهر الكريم - وقليل ما هم.

أقول ليس العيب في رمضان، بل العيب في ناس
رمضان في هذا العصر.

نحن ولا سوانا، نحن المسلمين في هذا العصر، الذين
أحب أشبههم بنسخة الويندوز الرديئة من النسخة الأصلية
للإسلام.

(شكلها نسخة مقرصنة ومضروبة)!

وأبسط مثال على ذلك هو اختلافنا حول رؤية الهلال،
وهو هلال واحد حسب ما درسنا في علم الفلك، لكنّ مسلمو
النسخة الرديئة لا يحبون الفلك!

نفس الحكاية كل سنة.

في الأخير:

دعونا نقل لبعضنا كما تعودنا - ركزوا - كما تعودنا
فقط.

رمضان كريم وكل عام وأنتم بخير!

صورة بالراديو

كُتِبَ صديقي د. أحمد سمير سعد عن ذكرياته مع الإذاعة،

فأثار الشجن في نفسي للكتابة عن الإذاعة وذكرياتها.

طبعاً الراديو كان صديق كل بيت قبل ظهور التلفزيون،
وقبل هجمة القنوات والسماعات المفتوحة التي فتحت على
الناس أبواباً مغلقة حتى تاهوا!

أنا شخصياً علاقتي بالإذاعة بدأت أيام دراستي
الجامعية في العراق في تسعينات القرن الماضي (١٩٩٤ -
٢٠٠٠م)؛ حيث كنت أستمع لثلاث إذاعات التقت جغرافياً
وتباعدت سياسياً وهي: الكويت والرياض وبغداد!

الكويت بالذات كان أجمل برنامج لدي هو (نافذة على
التاريخ) الذي كنت أستمع له رغم أنه كان يأتي متأخراً -
حوالي الثانية بعد منتصف الليل- عبارة عن دراما تاريخية
ممتعة يكتبها الراحل (درويش الجميل).

هذا الدرويش الذي وجدتُ له فيما بعد كتابين جميلين هما (جواسيس غيروا مجرى التاريخ) و(أشهر قصص العشق في التاريخ)؛ الكتاب الأول خرجت منه بأسماء لجواسيس غريبين أمثال (سورج) الروسي أو الأستاذ - كما كان يُسمى - الذي أنقذ روسيا أبان الهجوم النازي عليها عام ١٩٤١م حيث أرسل رسالة مهمة لستالين - الرئيس الروسي آنذاك - من داخل اليابان مفادها أن اليابان لن تهاجمكم الآن لأنها ستهاجم أمريكا، فكان من ستالين أن نقل كل قواته من شرق البلاد إلى غربها لمقاومة الهجوم الألماني وكان ما كان، ومن ذلك أيضا (ليلي كرامي) الجاسوسة اللبنانية التي خدعت ألمانيا النازية في تسريب موعد ومكان خاطئين لإنزال الحلفاء على البر الأوربي في عام ١٩٤٤م؛ ذلك الإنزال الذي عُرف بإنزال نورماندي نسبة لميناء نورماندي الفرنسي وغيرها الكثير.

أما الكتاب الثاني فقصص واقعية عن بترراك ودافنشي وشاه إيران وغيرهم مع حبيباتهم!

(أظن أننا خرجنا عن موضوع الإذاعة).

نسيت أن أقول هذان الكتابان ضاعا من جملة ما ضاع
من الكتب، ولم أجد لهما نسخة في النت!

(الكتابان - لمن يبحث عنها- تأليف درويش الجميل
وإصدار دار ذات السلاسل الكويت).

عودة لموضوع الإذاعة،

عندما تعينت موظفا في زمار في أواخر عام ٢٠٠٠م
بمكتب التعليم الفني والتدريب المهني كنت مع شلة من
الزملاء الساكنين في شقة خارج المعهد، وكان معنا راديو
قديمة لكنها تعمل بكفاءة كويسة وكانت وجبة الصبح
مضبوطة على برنامج (أوراق ملونة) من إذاعة صنعاء أما
وجبة الغداء فمضبوطة على برنامج (واحة اليوم) من إذاعة
صنعاء أيضا الساعة الثانية بعد الظهر (الذي كان يُعاد في
المساء الساعة التاسعة أو بعدها)!

(كانت وجبات إذاعية إذن!)

ختاما وعودة لجو العراق في منتصف التسعينات
 خصوصا في الصيف الحار في مدينة الرمادي عاصمة
 محافظة الأنبار حيث درست؛ كان الحر يلزمني أحيانا أن أنام
 في السطح لأستيقظ مع أذان الفجر، وبعد الصلاة مع
 الشروق أفتح إذاعة بغداد على أغنية (محمد رسول الله)
 لياسمين الخيام!

وكل إذاعة وأنتم طيبون (:

#اعترافاتي_الخاصة

صديق على جناح طائرة!

أرسل لي صديقي السندباد صاحب السفريات الكثيرة عن
رحلته الأخيرة:

صديقي الغالي:

أنا هنا في إحدى عواصم الشرق جئتها عبر رحلة
مضنية دامت ٨ ساعات، لكنها كانت من أجمل رحلات حياتي
والسبب أن التي كانت بجواري على نفس الطائرة امرأة
مذهلة!

واحدة من اللواتي كنا نقرأ عنهن في ألف ليلة وليلة.
طبعا أكيد قد خمنت أنها جميلة جدا، وأضيف أنا أنها
من دولة عربية قريبة إلى قلبك.
أيوه، إنها عراقية.

۱۶۱

لقد طارت بي – محدثي طبعاً وليس الطائفة- في
عوامل الثقافة التي – كما تعرف- لا أفقه الكثير منها إلا
حسب اطلاعي.

لقد تدلى فكي وأنا أتابع حديثها الذي لم أستطع أن
أقطعه لجماله وعميق غوره.

صديقي الغالي:

إنها أجمل محاضرة حضرتها في حياتي، محاضرة على
ارتفاع ٢٠ ألف قدم!!
تحياتي لك وأشواقي.

صديقك السندباد

#أحاديث_السندباد

عن الحقيقة وأخواتها

(١)

عن الحقيقة وأخواتها

أريد أن أتحدث عن الحقيقة، لكن ما هي الحقيقة؟

لماذا الناس لا تحب سماع الحقيقة؟

أظن الجزء الأول صعب، لذا دعونا نجيب عن الجزء الثاني: الناس تكره سماع الحقيقة لأن - باعتقادي - كل واحد منا يرى أنه يملك الحقيقة الكاملة فليس محتاج لسماع أي حقيقة من الآخرين!

هذه هي الدوجماتيكية؛ أي امتلاك الحقيقة المطلقة، ففي داخل كل واحد منا يوجد إله نائم.

(طبعاً إله من حقنا يعني مش حقيقي، لذا لا يروح

عقلكم بعيد!)

كم وجوه هناك للحقيقة؟

للحقيقة وجهان والثلج أسود فوق مدينتنا، كما يقول
محمود درويش.

بس الثلج الأسود أظنه أنه الذي يذوب ببطء!!

(هل هناك ثلج أسود؟!)

كل هذا كوم والسياسيون حقنا، أعني السياسيين
العرب، كوم آخر!

يا عيني عليهم؛

حقائقهم حقيقيّة محقوقة تتحقق تحقيقا حقانيا، ستجلب
علينا الحاقة والطامة والصاخة وأخواتها الأخريات!

ويا عيني عليهم لمّا يخطبوا خطابات تاريخية.

(لا أدري لماذا يحشرون التاريخ المسكين في كل
شيء، ويضيعون الجغرافية؟!)

المهم، خطبهم التي تنهال علينا (خطوبا) تمتلئ
بالحقائق، هذا الرصيد من الحقائق يكفينا - نحن الشعوب
المحققة- إلى يوم القيامة العصر!

وأظن أن هذه (الحُقُق) المصنقة المسماة سياسيين
هي من أهم العلامات على اقتراب يوم القيامة، علامات
(محقة) لم تصنعها كل دول الاستعمار مجتمعة، حتى قال
الروائي الكبير نجيب محفوظ:

"أتحدى إسرائيل أن تفعل بنا مثلما فعلنا بأنفسنا!"

وأنا أتحداهم معاك يا عم نجيب، وإن شاء الله ما حد

حوش) ☺

المهم، ما هي الحقيقة؟

لا ندري

لأننا يوم واجهنا الحقيقة غاب نجم الحب في كوم

الغيوم، كما يقول أبوبكر سالم!

هذي بلاد الظلمات!

(٢)

يقول الشاعر عبد الناصر السقاف – عن هذي البلاد:

"ظلم زايد ظلام

داخلك يعتبي

كان يشالكُ نبي

يعجنكُ من جديد

وشتكوني بلاد

كم لنا ساهنين

للعدالة نفسُ

داخلك تستقيم

ماهل إلا ضرسُ

نرتوي داخله

من زمان الزمن".

هكذا عبّر الشاعر الشاب السقاف عن هذي البلاد:

إنها ظلم + ظلام

معادلة صعبة من الدرجة ظلمات!

وليست مجرد ظلمات معنوية، بل ظلمات من كل لون؛
ظلمات مادية ممثلة في رحيل الكهرباء ذلك الاختراع الذي
غادر هذه الجغرافية، ولم تسعفنا الألواح الشمسية المناضلة
بأضواء مماثلة!

وظلمات الظلم، ذلك الظلم المركب في هذي البلاد ذي
التركيبة العجيبة؛ الكل فيها ظالم ومظلوم!
مظلومٌ ممن هو أعلى منه، وظالمٌ لمن هو أدنى منه
رتبة.

هيراركية مرعبة.

وكلٌ يظلم على قدر قدرته، وكأنا في الغابة.

ولماذا (كأنا)؟ بل نحن كذلك!

هذه (المحمية) الجغرافية التي نعيش فيها هي الغابة
الأرضية بكل تنوعها الفرائسي!

الديناصورات العملاقة تقوم بواجباتها للمحافظة على
مصالحتها بأي وسيلة كانت في ميكافيلية بلا حدود.

لم يفلح الدين في تهذيبنا، لأننا هذبنا الدين وحولناه إلى
طقوس نسقطها بحكم العادة وانتهى الأمر!

أما التعليم، فسلامٌ على التعليم الذي لم يمنحنا إلا
الشهادات الفارغة والألقاب الرنانة، فأصبح جهلنا جهلا
مركبا بشهادة!

والنبي الذي يشير إليه الشاعر، فلا وجود له، لأنه لا
نبي بعد سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام- فلا تنتظروا
أحدا!

وتعجبني بعض الكلمات التي غادرت قاموس هذه
الأرض مثل (القانون) و(الدستور) وأمثالهما!

أظن أن (القانون) يقصدون به تلك الآلة الوترية التي
يتم العزف عليها، كما قال الشاعر الكبير أحمد مطر:

من يملك القانون في أوطاننا، هو الذي يملك حق
عزفه!

وهاهم في كل بلدة يعزفون!

أما (الدستور) فأظنه المرادف للتحنح عند دخول
البيوت قائلين:

"دستور يا اللي هنا!!!"

فما تبقى لنا إلا الضرس الذي لم يعد يصيب الأسنان
فقط، بل أصاب الجسم كله!
والعقبى لكم بالمظلمات أقصد المسرات!

#سأقول_كلمتي_وأنصرف

عن التفسير

التفسير وما أدراك ما التفسير.

هذه المادة المهمة والشائكة في نفس الوقت!

أنا أحب تفسير القرآن الكريم والمفسرين؛ فلقد عشت مع كتب التفسير زمنا طويلا، في سنوات الألفينات (٢٠٠١ - ٢٠١٠م) وأنا في معية جمهرة المفسرين قارئاً ومستمعا من لدن ابن عباس - رضي الله عنه - وحتى شيخيّ الجليلين محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - وأحمد عبيد الكبيسي - شفاه الله، مرورا بالطبري والزمخشري والرازي والشوكاني والألوسي وابن عاشور وغيرهم.

وكذلك عشت مع بلاغة القرآن الكريم مستمعا للدكتور فاضل السامرائي و(لمساته البيانية).

التفسير مادة ثرية تحتاج مفكرا مبحرا في زوايا النص
القرآني مستلهما التراث، وفي نفس لوقت حاملا ثقافة
العصر الذي يعيش فيه.

كتبْتُ مقالات حول القصة القرآنية رفعتها كملف
إلكتروني بعنوان (مقالات في القصة القرآنية)، ناهيك عن
مقالات حول المادة القرآنية نفسها - قد أرفعها في زمن قادم
(١)!

وقدمتُ مع الصديق المتألق عيسى العزب برنامجا
تلفزيونيا هو برنامج (لسان عربي) حول بلاغة القرآن
الكريم في ثلاثة إصدارات لسنوات ٢٠٠٨-٢٠٠٩-٢٠١٠م،
وغير ذلك من الكتابات.

ومع هذا فإنني ما أزال في هذا المحراب العظيم قارئاً
ومستمعاً ومتأملاً.

(١) قد رفعتها بشكل كتاب إلكتروني اسمه (حديث القرآن) انظر رابطته في السيرة الذاتية آخر
الكتاب.

يقول صديقي د. عبد الله الشراعي - أستاذ النحو في جامعة إب:-

"رغم كل هذه الجهود في التفسير عبر القرون المنصرمة فما يزال التفسير بکرا!"

نعم، وسيظل كذلك متجددا مع كل عصر.

هذا التفسير هو زبدة القرآن وعطاؤه الذي لا يتذوقه إلا أصحاب ذائقة رفيعة في اللغة العربية.

لو التفتنا إلى القرن العشرين لعلمنا كم كانت الخسارة فادحة برحيل شيخنا الشعراوي - إمام مفسري القرن العشرين - رحمه الله؛ ذلك الشيخ الذي أبحر مستمعوه معه في (خواطره) الثرية حول القرآن الكريم.

ومع ذلك فقد قدّم في التفسير آخرون، لعل د. أحمد عبيد الكبيسي - شفاه الله - واحدا من هؤلاء وبرامجه حول القرآن الكريم في الفضائيات؛ أشهرها (الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم).

ونحن في اليمن لدينا عَلم من رجال التفسير؛ إنه الكاتب
عبد الله القيسي صاحب كتاب (عودة القرآن) الذي جمع فيه
بعضاً من إبداعاته حول القرآن الكريم.

وليس التفسير حكراً على الرجال فقط؛ فمن المبدعين
فيه السيدة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - صاحبة كتاب
(التفسير البياني) في جزئيه وكتب أخرى.

نعيد مرة أخرى ونقول:

إن باب التفسير ما يزال مفتوحاً على مصراعيه،
ويحتاج للمفكر الموسوعي والمتذوق للغة العربية لأنها مادة
التفسير.

أما جمهرة المتلقين - وأنا منهم - فأقول:

تعلموا واقرأوا في تفسير القرآن الكريم كي تعرفوا
عظمة الكتاب الذي بين أيديكم!

جَدِّ حَيَاتِكَ

إن لكتاب (جَدِّ حَيَاتِكَ) للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -

قصة معي؛ فهذا الكتاب قرأته في ظرف سيئ!

ما أزال أذكر قصة قراءته حتى اليوم:

ذات يوم من أيام دراستي في العراق بالتحديد عام ١٩٩٥م وأنا في سنة أولى هندسة ميكانيكية، عائد من الجامعة بعد تسلم درجات نصف السنة (بما يقابل نصف الترم) وكانت درجتي في إحدى المواد سيئة؛ وكانت تلك المادة صعبة؛ ولم تكن صعوبتها نابعة إلا أن مدرس المادة متشدد فيها جدا!

المهم، راجع وأنا تائه وذاهب لصلاة الظهر في جامع الشيخ عبد الجليل في مدينة الرمادي - الأنبار (مدينة غرب بغداد).

بعد الصلاة وأنا في ساحة الجامع إذا بشيخ الجامع
الشيخ إسماعيل الكبيسي (هو ابن عم الداعية المعروف د.
أحمد عبيد الكبيسي) كان واقفا هناك، ولما خرجت نادى لي
وكنت أعرفه.

:- كيفك يا عبد الحفيظ؟

:- الحمد لله.

:- الأهل في اليمن بخير؟

:- نعم بخير.. في حاجة يا شيخ إسماعيل؟

:- لا، بسأل بس؛ لأنني شفقتك صليت (النافلة) ثلاث!

:- أنا؟!

:- أيوه.

:- اها... أصلا جاءت نتيجة إحدى المواد اليوم في

النصفي سيئة.

:- خير إن شاء الله، بعد صلاة العصر انتظرني في

مكتبي

:- حاضر.

ثم انصرفت.

طبعاً كل إمام جامع معه مكتب ملحق ضمن مبنى
الجامع لمن أراد أن يسأله أو يجلس معه.

بعد العصر كنت هناك، وجاء الشيخ وطلب (قلصين)
شاي وقعدنا نتحدث عن الدراسة وامتحاناتي وما إلى ذلك،
ثم أخرج من مكتبه كتاب مغلف وقال وهو يسلمه لي: - اقرأ
هذا الكتاب.

قلت: لمن؟

قال: اقرأه وستعرف، طبعاً، اقرأه براحتك لست
مستعجل على رده لي.

عدت إلى شقتي ومعى الكتاب الذي هو كتاب (جَدِّدْ
حياتك) للشيخ الغزالي.

أسلوب الغزالي الأدبي الرفيع جذبني فظللت بقية اليوم
عاكفاً على الكتاب حتى أكملته، ومع ذلك لم أعده للشيخ

إسماعيل الكبيسي، بل ظل الكتاب معي أسبوعاً كاملاً أعدت قراءته ونقلت منه مقاطع معينة.

الحقيقة هذا الكتاب من الكتب المغيّرة للقارئ، والشيخ الغزالي لم يخف أنه نقل أفكار عن الكاتب الأمريكي ديل كارنيجي من كتابه (دع القلق وأبدأ الحياة) الذي قرأته بعد ذلك!

ثم صارت بعد ذلك فكرة الكتاب برنامجاً بنفس العنوان؛ حيث تحاور فيه الإعلامية كريمان حمزة الشيخ محمد الغزالي نفسه على شاشة قناة (اقرأ) الفضائية عند افتتاحها في أواخر القرن الماضي.

العلّاية.. المدير الذي لن يتكرر

أواخر الثمانينات وأيامها والعلّاية الذي لا يتكرر!

تلك الحقبة الموعلة في القدم كان كل شيء فيها جميلاً،
أو هكذا نظن!

حتى المناخ؛ فقد كانت أمطار (إب) يومياً صيفا وشتاءً؛
ونادر ما كنا نرى الشمس بعد العصر!

كنا أطفالاً أو في نهاية الطفولة على بداية المراهقة؛
تلك المرحلة الحرجة للغاية التي لا هي الطفولة البريئة ولا
الرجولة الناضجة.

التحقت بمدرسة (النهضة) في (إب) عام ١٩٨٩م في
الصف الثالث الإعدادي قادماً مع أسرتي من تعز.

كانت سمعة مدرسة (النهضة) قد بلغت عنان السماء
بمديرها النشيط؛ أستاذ الأجيال محمد عبد الله العلّاية الذي

غادرنا البارحة (توفي الأستاذ محمد عبد الله العلّاية يوم

٢٠١٨/٦/٤م) (نقطة)

كانت المدرسة خلية نحل.

هذا المدير نحيل القوام الذي هد جسمه مرض السكر،
لكن لم يهد عزمته المتوقدة وهو يبحث عن أفضل
المدرسين في (إب) ليجلبهم إلى مدرسته العامرة به.

لا أنسى يوم التحاقى ذلك في الطابور الذي يحضره
المدير المهيّب، ثم مروره على الفصول فصلا فصلا وجواره
المشرف ليفتش عن الغائبين بالأمس (تلك الزيارة التفتيشية
التي لازمته حتى تقاعده).

يستأذن من أستاذ المادة ثم يسأل عن الغائبين ليقفوا
والسؤال التقليدي: ليش غبت؟

فيجيب الطالب أو قد لا يجيب!

ليتوجّه العلّاية للأستاذ سائلا: كيف مستوى الطالب يا

أستاذ؟

إن أجاب الأستاذ: إنه كويس.

يقول العلّايّة: خلاص يا مشرف اعتبرها إجازة.

وإن لم يجب الأستاذ إجابة واضحة يقول العلّايّة: شوف دفتره يا أستاذ.

إذا الدفتر مرتب إذن إجازة، أما الحالة الثالثة فيخرج الطالب ولا يدخل في الغد إلا بولي أمره!

أما وجود العلّايّة في الطابور فعجب؛ أذكر بعد حرب الخليج الثانية بعد غزو العراق للكويت ووقوف مصر مع قوات التحالف ضد العراق.

(كنت طالبا في الأول الثانوي حينها).

في تلك الفترة ألقى طالب في الإذاعة قصيدة شتم فيها المصريين، وكان ذلك في لحظة قدوم الأستاذ العلّايّة للطابور.

في اليوم الثاني في نهاية الطابور كان العلّاية أول الحاضرين، وطلب الطالب بالاسم على الطابور أن يأتي للمايك ويقدم اعتذاره عما قاله بالأمس.

ثم خطب بنا العلّاية قائلاً:

"يا أبنائي نحن شعوب ولسنا سياسيين؛ فلا يصح من أي طالب أو مواطن أن يشتم الشعوب بسبب السياسيين، دعوا السياسة لأهلها.

هؤلاء هم أساتذتكم الذين قدموا لكم الكثير، فلا يصح ما قاله زميلكم".

هذا هو العلّاية؛ إنه (ن-١) من بين المدرّاء الذين عرفناهم.

كانت (النهضة) اسم على مسمى؛ فقد كانت تحرز المركز الأول في المسابقة العلمية على مستوى الجمهورية لأعوام عديدة، ويندر أن يخلو مقد من مقاعد العشرة الأوائل في الثانوية العامة أو الإعدادية على مستوى الجمهورية دون أن تحتل (النهضة) مقعداً منها أو مقعدين!

في سنة تخرجي من (النهضة) عام ١٩٩٢-١٩٩٣ م
كان العاشر على الجمهورية من دفعتي؛ إنه - الآن - الدكتور
محمد قائد.

قصة أخيرة أذكرها؛ ذات مرة مرضتُ وذهب بي أبي
لعيادة الدكتور محمد النجار بسبب اللوزتين التي قلما كانت
تغادرني آلامها، وقبل أن يتم تحديد العلاج قال والذي
للدكتور النجار:

أرجو يا دكتور أن تكتب للولد إجازة مرضية لليومين
التي غابها عن (النهضة)، أنت عارف مديره العلّاية ما
يجاملش في موضوع الغياب.

فضحك الدكتور النجار وقال: معروف يا باش مهندس -
يقصد أبي - العلّاية كان مديري أيضا!

رحم الله الأستاذ محمد عبد الله العلّاية - رحمه الله
رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله عنا خير
الج_____زاع.***

كتابات عن مطر (إب)

١ - جغرافيتي

هنا جغرافيتي التي لا يحد مدى اتساعها حد، بل تتوسع
حتى تكاد تنفذ من أطراف أذرع درب التبانة!

هنا مسكن الروح منذ غربتها الأخيرة قبل عقود.

هنا لا أخاف أن تمطر الدنيا ولست معي - كما يقول
نزار، لأن هنا مهبط المطر ومجرى سيول العمر!

وحدها (إب) من تهدهدنا كأطفال في مهدها الرؤوم
على وقع ملامسة قطرات المطر لصفائح الزنك التي تعلو
نوافذ منازلها!

مطرٌ خجول يغازل (إب) في هذه اللحظات.

إنه (مارس) الذي يمارس تقلباته و(إب) مترقبة لكل
هذه التقلبات التي لن تطول، لأنه في الأخير سيستلم لفتنتها

الطاغية ويهل الغيث من كل أبواب السماء ليشكل لوحة فنية
ساحرة اسمها (حبيبتي والمطر)!

٢- فى انتظار المطر

بودي أن ينزل المطر غزيراً، لدي رغبة طفولية أن
أمشي تحت المطر.

(وقد نفذتها ذات يوم وموثقة في اليوتيوب)!!

طبعاً لن أردد مع نزار قباني:

"والآن أجلسُ والأمطارُ تجلدني

على ذراعي. على وجهي. على ظهري".

ولن أتساءل ما هي زاوية سقوط المطر ولن أبحث عن

فيزياء المطر!

بل الشيء الوحيد، أني أريد أن أتأمل داخل المطر!

لأن أمطار (إب) غير تماماً.

صحيح أن المطر لا ينقطع عن الكرة الأرضية ساعة واحدة من الـ ٢٤ ساعة في اليوم!

لكن لماذا يسقط في (إب) له وقع خاص.

إنها (إب) مهبط المطر السماوي الجميل، وحدها من تحتضن المطر بشوق خاص.

"(إب) مدينة المطر ومجرى سيول العمر!" كما كتبت ذات يوم.

وأتساءل مع هشام محمد في مجموعته (استعارة لونية):

"بدأت السماء تمطر... المارة يهرعون في اتجاهات متقاطعة... كل واحد يخفي ما حملتا يده من المطر، أتساءل:

لماذا يفرون ممن جاء من أجلهم؟".

نعم لماذا يفرون؟

للمطر تلك الأنشودة التي عزفها بدر شاكر السياب
شعرا في قصيدته المشهورة (أنشودة المطر)

"مطر... مطر... مطر".

أما أنا فلا يزال رجع أغاني الصغار عالقة في ذهني
ونحن نردد وقت سقوط المطر:

"يا مطر أمطر"

بالشعير والبُر

ومعي (مشقُر) (١)"

فمتى يسقط المطر؟

رغم كوني أكتب الشعر - ولا أقول شاعر - لكني لم
أكتب عن المطر ولا قصيدة، بل ولا بيت.

حسنٌ... عندما يهطل المطر - لا أقول يسقط؛ لأنني لا
أحب السقوط!

أقول عندما يهطل المطر سأكتب شعرا!

(١) المشقُر: اسم نبات الريحان بالعامية اليمنية.

أذكر آخر مقطع من فيلم (حليم) للمبدع الراحل نجيب محفوظ عبد الرحمن، كانت نهاية الفيلم مع تذكر حليم لسقوط المطر وهو صغير، كم كان المقطع مؤثرا!

"غدا سيسقط المطر

وتجرف السيول - كلما انهمر -

ستجرف الحجارَ والترابَ والهوامَ والشجر

غدا سترقص الحقولُ غبطةً ونشوةً

على تقاطيعِ صوتهِ الجميل

كلما انهمر

سلمتَ يا مطر

يا باعثَ الحياةَ في الموات

يا فالقَ الحجر

سلمتَ يا مطر".

(من مقاطع قصيدة تتشكل)

٣- أحب المطر

أحب المطر لأنه يذكرني ببراءة الأطفال.

صوت قطراته وهي تضرب لوح الزنك المثبت أعلى نافذتي كأنها خفقات قلب مشتاق.

رائحة التراب بعد المطر المشبعة بالأوزون عطر كوني أكثر تضوعا من (وان مانشو) أو (كازنوفيا)!

المطر يجلو النفس كما تجلو امرأة ما مرآتها لتقعد أمامها للزينة!

(إب) عاصمة المطر ومجرى سيول العمر :

السماء الرمادية ليست كئيبة كما يوحي لفظ الرمادية،
بقدر ما هي لوحة طرزتها القطرات الهائلة.

الضباب يلف الربى الآن، والبيوت البعيدة والتضاريس
بدأت في مغادرة (كادر) الصورة كأنها أطفال يتوارون خجلا
وهيبة في حضور أبيهم!

الجو أوروبي - كما يقول صديقي - لكن الأرض ليست
أوروبية!!

أهل الحاسوب يتحدثون عن نص متعدد التشعب أو لغة
ترميز النص المتشعب HTML.

لكني أرى أن المنظر الطبيعي ما هو إلا نص متعدد
التشعب؛ يلتقي فيه الصوت مع الصورة مع الحركة مع
الإحساس مع الذكريات مع أي شيء تريد أنه تحشره في هذا
النص المتشعب الواسع النطاق!

أظن لو أنني كتبت بعدد القطرات الهائلة لما أوفيت
المشهد حقه.

لكني أقول: هذا النص المتعدد التشعب يصنع هذه
اللوحة الكونية، لوحة - لا أقول ثلاثية الأبعاد - بل متعددة
الأبعاد من إبداع العزيز الحكيم - سبحانه!

(ملاحظة: لم أرفق صورة تاركاً لك المجال لتتصور
اللوحة الكونية، لوحة إب بعد المطر!)

٤- ذاكرة المكان والمطر

ذاكرة المكان المتلاشية التي أعترف أنها عندي تساوي
صفر!

في غمرة الأمطار التي هطلت على إب اليوم
(٢٠١٨/٦/٣ م).

وأنا بذاكرة المكان السيئة أو المثقوبة قد تهت في أزقة
المدينة القديمة

(التي – المفترض- لا يتوه فيها أحد!)

بما ذكرني بشاعرين معا تحت الأمطار؛ الأول الشاعر
أحمد مطر وهو يقول:

"تهت عن بيت صديقي فسألت العابرين".

أما أنا فلم أسأل أحد!

والثاني هو الشاعر نزار قباني وهو يقول:

"الآن أجلس ... والأمطار تجلدني

على ذراعي. على وجهي. على ظهري!"

وأنا لم أكن أجلس بل أمشي!

جميل هو المطر حتى ولو عدت للبيت مبلا، لكن قبيح

أن تكون (بذاكرة مكان) مثقوبة!

أحتاج لدروس في الجغرافية أو لجوجل إيرث.

كل هذا التعب و(البلل) من أجل (الباجيا)(^١)!!

اللهم أني صائم، أو كنت صائما!

(^١) الباجيا: اسم الطعمية بالعامية اليمنية.

نضب الكلام

نضب الكلام، وجف الحلق عن الصراخ، وبار الفكر في
صحراء السياسة القاحلة.

ما الذي نكتبه؟

مجرد آهات نفرغها على صفحات الفيس البيضاء لا
تسمن ولا تغني من جوع.

مجرد خربشات على خطنت رديء تشبه الحياة التي
(نتجرعها) في هذه الجغرافية المنسية.

فقط الذكريات القديمة هي الملاذ، رغم أن اللجوء إليها
أصبح كأنه ضرب من الجنون، أو نوع من الهروب من
الواقع، ذلك الواقع، الواقع فوق رؤوسنا، تلك الرؤوس التي
فقدت الأدمغة التي تفكر بها فانجرت كالقطيع، فصرنا كما
يقول الشاعر أحمد مطر:

"قطيعُ نحن والجزار راعينا

لمنْ نشكو مآسينا؟!"

ويطل من بين الخرائب سؤال وجودي - كما يسميه

صديقي ياسين أحمد سعيد:

هل تخلّت السماء عنا؟

جوابي، و يقيني: لا لم تتخلّ، لكنها تمحّص الكل، وقد

طال زمن التمحيص، لذا تبقى جذوة الأمل مشتعلة ولو

أدركت ذبالتها بعض الونى!

ويكاد يكون الليل طويل المدى وأنجمه غائمة وقمره

متوارٍ عن الأنظار، لكن عيون النهار مبصرة تحديق في الأفق

البعيد.

لا بد من صفحة جديدة؛ لأن التاريخ يقلب أوراقه دوما

ولا بد من يوم يقلب هذه الصفحة التي سودتها أحداث هذا

الزمان الكئيب، ألسنا نحيا في زمان بلا نوعية كما سماه

المبصر البردوني؟

زمان من سماته كما قال:

خفي الخطي قتلُ هذا الزمان... بعيدُ المدى، عالمي الحيلُ

ومع ذلك عندما أقرأ في القرآن قصة فرعون بطولها
وعرضها (في أكثر من ٢٠ سورة) أحس بالاطمئنان!

لماذا؟

فرعون الذي تجبر حتى أنه قال: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى}،
وقال عن بني إسرائيل: {وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}، وقال لملاه:
{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي}، فما

كانت خاتمته؟ ☺☺

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}.

من يومياتي

١- شيء من الملل

اليوم الثلاثاء آخر أيام يناير ٢٠١٨م أحس بالملل من الصباح.

أقيتُ محاضرة روتينية هي أول محاضرة في مقرر (الإحصاء والاحتمالات).

(لا أدري لما تبدأ كل محاضراتي في يوم ٣٠؛ مادة الهياكل المتقطعة التي درّستها لنفس الطلاب الفصل الأول بدأت يوم ٣٠ سبتمبر!؟)

المهم؛ بعدها تابع اليوم رتأبته، كأننا آلات جامدة تقوم بواجبها الدوري.

الشيء الجميل اليوم هو جلوسي مع صديقي د. علي
درموش - أستاذ تقنية العمارة بالجامعة - الذي حدثني عن
أيامه الدراسية في مصر مشفوعا بالصور من تلفونه.

أيام جميلة..

ومزحنا كثيرا على الصور.

لكن شعور الملل ظل ملازم لي، لا أدري لماذا ينتابني
شعور الملل الطاغى من الصبح؟

أذكر في قصيدة الأصمعي المشهورة (صوت صفير
البلبل) أن هنالك بيتا يقول:

وصادحُ القمري يصيح ... مللٌ مللٌ في مللٍ

شكل البيت سيكون:

والشاعرُ (العَمري) يقولُ ... مللٌ مللٌ في مللٍ!

٢ - فقراير

اليوم الخميس الأول من فبراير ٢٠١٨م، شهر فبراير
سماه أحد الأصدقاء (فقراير)!

يبدو أن شهرنا كلها صارت فقرايرات!!

لكن مع هذا الفقراير فقد كان يوما جميلا؛ كانت جولة
صباحية طويلة مع صديقي الرائع د. فتحي الشويطر.

كائن لطيف هذا (الفتحي) - فتح الله عليه - وهو يحدثك
عن مصر وأيام مصر.

(د. فتحي طالب دكتوراه في القانون يدرس في جامعة
القاهرة)

هل هناك أجمل من الحديث عن أم الدنيا؟

د. فتحي من آل الشويطر هذه الأسرة المبدعة؛ فأفرادها
ما بين كاتب أو فنان تشكيلي أو شاعر أو قاص!

القاضي يحيى الشويطر ذلك الفنان التشكيلي الجميل،
والدكتور عبد الكريم الشويطر صاحب ديوان (هلال الغربة)،
والدكتور صفوان الشويطر القاص المبدع.

وها هو د. فتحي حديثه اليوم رواية طويلة متعددة
الفصول بدأت من عمّان بالأردن ولم تنتهِ عند القاهرة بل
امتدت إلى اليمن، تحدثنا كثيرا ونحن نذرع (شارع العُدين)
الممتد أمامنا حتى العودة إلى البيت.

(لا أدري كم طلع طول الشارع بالذراع أو المتر؟!)

الخبرات البشرية تُكسب بالمعايشة، والعيش في بيئات
جغرافية متعددة تكسبك هذه الخبرات، ووظيفتك أن تنقلها
إلى الآخرين.

صحيح أنني لم أنفذ ما طلبته من الآخرين، فقد عشتُ
في العراق ست سنوات كاملة وتعرفت على عوالم متعددة

لكني لم أتحدث عنها بعد!

ربما في المستقبل القريب.

شكرا للدكتور فتحي الشويطر - المبتسم دائما.

٣- كومة أوراق

اليوم الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠١٨م.

أسبوع (الشُّغلة)، هكذا أسميه، لأنه آخر أسبوع في دوام التدريس في جامعة العلوم والتكنولوجيا؛ فهو كله ورق في ورق.

المحصلات على كشوفات الغياب على نماذج الامتحانات وهكذا.

حولي كوم أوراق كأي أجهز الختام النهائي لبنك مركزي.

(صحيح؛ أيش أخبار البنك المركزي اليمني؟)



عودة لجو الجامعة، الأقسام هذه الأيام كخلايا النحل؛
كلها جداول: جداول مراقبة.

(مع أنه من راقب الناس مات غماً!)

على جداول الامتحانات، وهات لك يا إعلانات معلقة في
لوحات الإعلانات المكتظة من زحمة الأوراق.

(أکید أن لوحة الإعلانات تستلم هذي الأيام بدل دوام
إضافي!)

كل هذه التجهيز من أجل الحدث الأكبر وهو الامتحانات
التي ستتطلق صافرتها الأسبوع القادم.

ربنا يسهل لكل طلابنا (وطلابي خاصة) بالنجاح.

بصراحة لا أتمنى رسوب طالب - أي طالب.

نعم أن يتمايز الطلاب عن بعضهم كل على قدر
اجتهاده، يتمايزوا في النجاح طبعاً؛ لذا أتمنى لهم حظاً

سعيداً. 😍😍😍

٤ - صيام.. صيام

الخميس ١٧ مايو ٢٠١٨ م.

أول أيام شهر رمضان المبارك لعام ١٤٣٩ هـ، وأول
أيام الإجازة.

طبعا ساعتى البيولوجية ملخبطة على الآخر.

ليلة الصوم أحاول أن أنام علشان لا أستيقظ بدري بل
أنام الصبح!

لكن لا جدوى.

دخلت الفيس لم أجد إلا (طن) التهاني والتبريكات بقدم
الشهل الفضيل؛ تهاني على الخاص والعام والمختلط!

تركته ورحت للقنوات، بصراحة هربت بدري منها
وهي تتصارع حول المسلسلات والفوازير التي سيتحفونا
بها في الشهر (الفضيل).

ناهيك عن أخبار فلسطين الدامية التي لا يجهلها أحد.
المهم، رجعت أقرأ شوية ثم غلبني النوم ورحت في
السبات.

(القراءة تفيد أحياناً!)

تصحى بعد نوم ثقيل زي الثور وهم يقولون لك
"بسرعة سحور قبل ما يأذن"، ونفسك مسدودة وكلك نوم.
(هنا يبدأ شغل رمضان الحلو)

المهم، بقدرة قادر أكلت - ومش عارف أيش أكلت!
وجاء وقت الأذان وصليت ونمت، صحيت الظهر
ورأسي يؤلمني بشدة، أما المعدة فلم تقصر بدورها.
حاولت أن أنام لا فائدة، صارت الساعة الواحدة.

تذكّرت طلابي في جامعة العلوم الذين يؤدون اختبارات
نهاية الترم في تلك اللحظات، أمانة رثيت لحالهم؛ يعني
الطالب جاي ومصدع وهم الاختبار وشمس وصوم.
ربنا يتولاهم برحمته ويسهل لهم اختباراتهم.

•
•

أردت أن أكتب أكثر، لكن الولد إبراهيم الصغير
يستعجلني يريد ألعب معاه (بطة) باصرة - ما يقابل
الكوتشينة لكن باللهجة اليمنية!

نلتاقم لاحقاً.

٥- سفر الخروج

اليوم الاثنين ٢٨ مايو ٢٠١٨ م / ١٢ رمضان ١٤٣٩ هـ.
ها هو الشهر الكريم يواصل مسيرته ونحن نقترّب من
المنتصف، وهذا ليس غريباً عليه!

لكن الغريب هو حر (إب)، ولا أدري ما الذي يجعل
مدينة مثل (إب) حارة وهي مسقط المطر الذي هطل قبل

يومين، لكنها بدونه تتحول لصحراء الربع (الخالي) مع أنها
مكتظة بالسكان!

(الموضوع له علاقة بمحمد الربع؟!)

ربما تشابه أسماء أو حروف لا غير!

ما علينا.

صاحي في تمام الواحدة على اتصال من جامعة العلوم
والتكنولوجيا أن أروح لكي أصحح (دفتر) واحد!

يا جماعة بالله عليكم أسافر من (المشنة) إلى (الثلاثين)
علشان دفتر واحد؟

واحنا في رمضان والدنيا حر!

- أنت مدرس المادة وواضع الاختبار.

(كأنهما تهمتان كل واحدة عقوبتها ١٠ سنين حبس مع
الأشغال الشاقة!)

المهم - وأمري لله - رحت، وانجزت المهمة في
دقائق.

(أصلاً دفتر واحد يتيم مقصوف الرقبة)

ولقيت سلمت على الزملاء المناضلين وكيف رمضان
عندك؟ وعندكم؟

(كأن رمضان هذا معه أكثر من وجه ولون وطعم!!)

وشكلنا بالزي الرسمي أقصد الشعبي (الجهاز والجنبيه
والثوب) تقول رايعين عرس أو عزاء!

(أكيد من لوازم الصوم)

الحقيقة الأمر عادي جداً أن يخرج كائن حي في نهار
رمضان للشارع أو لطرف المدينة، لكن الكوالا الكسول (أظن
أنه أنا طبعا) لم يعد يخرج من البيت إلا ضمن مساحة مربعة
مقدارها إلى طرف الحارة!

لذا استثقلت هذا الخروج الطارئ والاضطراري مثل
هبوط طائرة بوينج احترق محركها فجأة!

(لكن الحمد لله ليست هناك حرائق إلا الأسعار في
رمضان، وأظن أنه أيضا عادي ربما من لوازم الصوم!)

٦- أعراس

اليوم الجمعة ٢٤ أغسطس ٢٠١٨م صوت أغاني الأعراس يملأ سماء (إب)، استيقظت على (زفة) حنّانة طنانة في الحارة.

كسول جدا عندما أصحو من النوم، خصوصا في الإجازة.

(ما أيامنا صارت إجازة طويييييييييلة ٢٤)

أقول لزوجتي: كيف زفة صباح الجمعة؟ مش المفترض أن العروسة تروّحت أمس الخميس؟

قالت: عادك قديم ... أصبحوا هذي الأيام يروحوا العروسة في أي يوم مش شرط الخميس!

- أها...، لكن الصدق أغاني الأعراس حلوة ٢٤

- نعم، نعم، أو عادك راغب تتزوج!!؟

- (ببلاهة) منو؟ أنا؟ لالا،، خلاص قد مدحت أغاني العرس قدنا أريد أشتي أتزوج؟
- وبعدين أنتِ دارية أني أحب أسمع الأغاني!
- أيوه عارفة، بس انت مهووس بأبوبكر سالم مش بأغاني الأعراس.
- ما كلها أغاني!
- بس أغاني الأعراس للي يشتوا يتزوجوا.
- أو للي يشتوا يتذكروا أيام زواجهم القديم.
- طيب،، قوم دلحين يا أبو الزواج القديم!
- أسمعني أمانة عليك.
- "سرّجوا خمسين شمعة
- وافرحوا يا ناس جمّعه"
- جمّعة ... جمّعة ... مش وقت!

يعني حرام على الواحد يسمع (دغفتين) لحن من
الصباح!

وأكثر حرمة لو كانت ألحان أعراس 

(يا صديقي احتفظ بأرائك لنفسك في أي شيء يمت
بصلة للنسوان من قريب أو بعيد، ولو كان البعد سنة ضوئية
كاملة)!

٧- نار

٢ سبتمبر ٢٠١٨ م.

اليوم تورطت وخرجت من البيت، ذهبت إلى الجامعة!
طبعاً هذه أول خرجة لي إلى جغرافيا بعيدة عن
الجغرافيا المعتادة بعد سبات دام أسابيع (:)
المهم، كل شيء نار، وأحس صوت عبد الحليم حافظ
يعني:

"نار يا حبيبي نار!"

طبعاً الدنيا نار بدون (حبيبي) ولا هم يحزنون!

(إلا حبيبي طاب علمك!)

صاحب الباص يصيح: من (مئة) وإلا ما بش رَكْبَة!!

صاحب الفواكه: ٥٠٠ وما فوق.

حتى صاحب (البلس) يقول لك: الدولار ارتفع!

المهم، من أراد نظافة أكيدة للجيب من كل (قاذورات)
الفلوس الورقية أو حتى (الأفلاس)، فعلية بالمغامرة
والخروج من البيت!

وصدق الأولون لما قالوا:

من خرج من داره قل مقداره!

واليوم مش قل، بل ضاع مقداره، وخار مقداره.

الغريب أن الكل يتحدث عن الدولار، بل صار عندهم
خبرة صرف تتذبذب مع سعر الدولار.

لكن للأسف كلُّ صار يظلم من جهته وعلى قدر ما
استطاع!

رحم الله المتنبى لما قال:

وَالظَّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّ...ذَا عِقَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلَمُ

أما أنا فأقول:

ربِّ أقم الساعة!

هذه الفاتنة وابنها البار

هذه الفاتنة التي تخطر بين الأمطار الغزيرة في هذه الشهور المباركة انتظارا للعرس الأكبر في الشهر الثامن (آب/ أغسطس)، والتي يُقال إن اسمها مشتق منه. إنها (إب).

لماذا غزارة المطار تلك؟

نعم إنه الطقس وقوانين الأرصاد الجوية، لكن لـ(إب) قوانينها الخاصة بها.

هل تسح سماء المدينة مطرها في يوليو بالذات حزنا على ابنها البار؟

فاليوم (٢٠١٧/٧/٥م) هو الذكرى الـ٢٤ لرحيل ابنها البار محمد علي حسن الربادي!

رجل كان أمة كاملة، تحفظ له الذاكرة الجمعية الشعبية مكانته الخاصة به وهي تتذكر خطبه الرنانة التي كانت منار كل محفل يحضره، وتتذكر قبعته الخيزرانية التي كانت عنوان لبسه البسيط؛ لأنه ابن الشعب، ابن (إب) البار، والذي افتقدته ذات صباح حزين منذ ٢٤ سنة.

ما زلت أذكر ذلك اليوم تماما، كان عمري حينها ١٨ سنة، كان ذلك اليوم يوم الاثنين (٥ - ٧ - ١٩٩٣ م).

صوت بوق سيارة الإسعاف القادمة من صنعاء يكاد يدوي في أذن (إب) الحزينة، فقد كانت تلك السيارة تحمل جثمان ابنها البار.

الناس يملؤون الساحة الغربية المقابلة للجامع الكبير، بعد امتلاء الجامع.

صوت القارئ عبد الباسط عبد الصمد يتعالى في الأرجاء.

العيون دامعة.

وصلت السيارة إلى (إب) وصوت بوقها يتقدمها، ها هي تخرق وادي (السحول) وتمر صاعدة إلى الجامع الكبير، وكأننا في (زفة) عرس وليس جنازة!

الصفوف تراصت وهي تزدهم ازدحاما لم تشهده (إب) من قبل، أدخل الجسد الطاهر إلى محراب الجامع، ذلك المحراب الذي طالما شاهدت الجموع على منبره صاحب الجثة المسجاة وهو يخطب فيها في (جُمعها) المشهودة مذكرا لهم أن الإسلام هو دين الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة، تلك الحرية التي هي أثنى ما في الحياة.

انتهت الصلاة، فهبت الجموع حاملة النعش تجري به بسرعة الريح مسابقة الزمن إلى مثواه الأخير في مقبرة (الظهار)، كنا نجري ونحن نحاول اللحاق بالنعش الطائر على الأكتاف.

كانت النساء تملأ الممر الذي يشرف على الباب الكبير كي تشاهد نعش الراحل وهو يهبط إلى (المركزي)، وصلنا

المقبرة التي غصت بالناس حتى لم نستطع أن نشاهد موضع
القبر!

لماذا كل هذا الحشد؟

هل هذا الرجل مهم لهذه الدرجة؟

هو مسؤول نعم، فقد كان عضو مجلس النواب، لكن
ليست كل جنائز أعضاء مجلس النواب هكذا!

انتهى اليوم، وظللنا طيلة السنوات الماضية نتذكر
(الربادي)، وظلت (إب) تسح دموعها في مثل هكذا يوم!
رحم الله الأستاذ محمد علي حسن الربادي.

هذا الصباح

في هذا الصباح من أيام سبتمبر (عام ٢٠١٨م) تستيقظ

على اختلاف القوم السياسي (المعتاد)، وكل له مذهبه.

وأظن أن المختلفين لم يتلفتوا حولهم ليروا أن
الجغرافية قد تتفتت تحت أقدامهم!

فهل بقت معنا بلد حتى نختلف عليها؟

أما أنا فأرجو الله أن يجنبني هذا الهذر الذي لا طائل
منه، لذا سأوي إلى جبل يعصمني من هرائهم جميعا، رغم
أني أخاف ردهم الموجع: أن لا عاصم من أمر السياسة حتى
ولو بجوف الكعبة!

في هذا الصباح ها أنا أسترجع الذكريات الجميلة مع
صوت أبوبكر سالم بلفقيه أو الفقيه أبوبكر - كما يسميه
صديقي محمد القحطاني.

أتمايل طربا مع (أمي اليمن) تلك الأم التي عقها
الجميع، وما أقبح عقوق الأمهات!

من ذا الذي يعق أمه؟

لو أمي كانت موجودة لكنت خادما مطيعا عند قدميها،
لكن هيهات:)

وأتشوق لـ(وادي الدور) ورُبي صنعاء معا، وأنا أرى
ابتسامة أبوبكر مع مقطع:

يا أحبة رُبي صنعاء رعى الله صنعا

كيف ذاك الرُبي لازال للغيد مرعى

لو يقع لي إليه اسعى على الرأس لاسعى

إنه القاضي علي بن محمد العنسي- كاتب الكلمات- ذلك
الصنعاني الذي سكن (العُدين) في (إب)، لكنه ظل يتشوق
لصنعاء (سماها في الكلمات مدينة سام) وهو يشتكي لمغرد
واد الدور قائلا:

واستمع لشكيّة صبّ مشتاق عاني

أخرجهُ من (مدينة سام) دار التهاني
لاعجُ البينِ يا طيرُ هكذا قصْدُ عاني
فدموعهُ على الأحبابِ في خدّه الوانُ

رغم أن هذا المقطع لا يرد في الأغنية!
ماذا بقي لنستمع إليه في هذا الصباح؟
نعم، بقيت حنجرة الشعب – أيوب طارش – وهو يشدو
من كلمات علي بن علي صَبْرَهُ:

عاد أيلولُ كالصباحِ جديداً
سُحِقَتْ في طريقهِ الظلماءُ
يبعثُ الروحَ في الوجودِ ويسري
في دمانا كما يدبُّ الشفاءُ
ينشرُ الحُبَّ والسلامَ ويبني
نِعَمَ بانٍ لنا ونِعَمَ البناءِ

عاد أيلولُ غرةً في جبينِ الدهرِ
تزهب به السنينُ الوضاءُ

وأظن أن هذا هو نشيد أيلول دوما!

السيرة الذاتية



الاسم: عبدالحفيظ أحمد صالح العمري

تاريخ الميلاد: ٧ ديسمبر ١٩٧٥ م

مكان الميلاد: تعز - اليمن

البريد الإلكتروني:

abdualamri.75@gmail.com

المدونة: <http://knoweyes.blogspot.com> (مدونة عيون المعرفة).

المؤهلات:

بكالوريوس (بك) في الهندسة الميكانيكية جامعة الانبار
العراق عام ٢٠٠٠ م + دبلوم في علوم الحاسوب من
المعهد الوطني للعلوم الإدارية إب ٢٠٠٨ م.

الكتابات:

١ / معدا لبرنامج تلفزيونية: (لسان عربي) و(دلائل الإعجاز)

٢ / كاتباً في صحف عربية ويمنية.

المشاركات:

١ / مهرجان القصة والرواية اليمنية الرابع الذي أقامه
منتدى نادي القصة اليمني (المقه) في صنعاء للفترة من
٢٨/٧/٢٠٠٨م إلى ٣٠/٧/٢٠٠٨م.

٢ / مهرجان الأدب اليمني الذي أقامه الاتحاد العام للكتاب
والأدباء اليمنيين في عدن للفترة من ٢٤/٥/٢٠١٠م إلى
٢٧/٥/٢٠١٠م.

المنشورات:

* يوجد كتاب مطبوع واحد هو (فضاء العلم) وهو مجموعة
مقالاتي العلمية صادر عن دار نور ألمانيا في مارس
٢٠١٧م.

https://www.morebooks.de/bookprice_offer_276735e18a510ac38b92f23935a168cc1da2a4e1?auth_token=d3d3Lm5vb3ItcHVibGlzaGluZy5jb206ODJjMmI3MGU2YWQ4ZDc1MDNiNTdlNGRhMjc0YTk2MTA%3D&locale=gb¤cy=EUR

وقد نشرت للآن ٢٠ كتابا إلكترونيا هي:

- ١- آفاق الثقافة العلمية - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٢- عالم الذرة - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٣- التلوث الضوضائي - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٤- الزمن من العصور القديمة إلى أينشتاين - يناير ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٥- هذا زمان النانو - يناير ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٦- هل نحن وحدنا في الكون؟ - فبراير ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٧- حكاية النسبية - مارس ٢٠١٥م.

- ٨- عالم من المعادلات - أبريل ٢٠١٥ م (ترجمة).
 - ٩- ما هو الواقع؟ - سبتمبر ٢٠١٥ م (ترجمة).
 - ١٠- عالم يتساقط - أكتوبر ٢٠١٥ م.
 - ١١- عندما تقع الذرات في الحب- فبراير ٢٠١٦ م.
 - ١٢- التفتوا إلى الدنيا وتركوا التاريخ- سبتمبر ٢٠١٦ م.
- كلها صدرت عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

صدر عن كلاميو:

- ١٣- العيش في زمان السندوتش - سبتمبر ٢٠١٥ م.

<http://en.calameo.com/books/003269328a59>

[6353a9fd5](http://en.calameo.com/books/003269328a596353a9fd5)

- ١٤- لماذا؟ أنت تسأل والفيزياء تجيب (مشاركة في الترجمة) - يوليو ٢٠١٦ م.
- ١٥- أضغاث فيسبوك (خواطر وذكريات) - أكتوبر ٢٠١٦ م.

- ١٦- ومضات النور (مقالات علمية) - أبريل ٢٠١٧م.
- ١٧- على قارعة الويب (مقالات تأملات) - يونيو ٢٠١٧م.
- ١٨- هذا الكتاب (حفيف أوراق) - ج ١ (عروض كتب) - سبتمبر ٢٠١٧م.
- ١٩- حديث القرآن (مقالات عن القرآن الكريم) - يونيو ٢٠١٨م.
- ٢٠- هذا الكتاب (صدى الزمان) - (خواطر وذكريات) - أبريل ٢٠١٩م.

حسابي في الفيس:

<https://www.facebook.com/atomsandequations>

ons

حسابي في تويتر:

[@alamri_75](https://twitter.com/alamri_75)

الذكريات القديمة للمرء
تمثل أهم بصمات الزمن
الخالدة التي تركها على
جدار النسيان المتضخم
بتقدم العمر؛ حتى يكاد
يكون الإنسان مجرد
حافضة لذكريات متراكمة،
قد تطمسها رحي
الزهايمر في لحظة ما.

عبد المظيت العمري